وكان فى سبع مايّة فارس فلمّا سمع سيف الدين بكتمر صاحب خلاط بُلكه حانى[1] جمع عساكره وسار اليه فاجتمعت عساكره اربعة الاف فارس فلمّا التقوا اقتتلوا فلم يثبت عسكر خلاط لتقى الدين بل انهزموا وتبعهم تقى الدين ودخل بلادهم وكان بكتمر قد قبض على مجد الدين ابن رشيق وزير صاحبه شاه ارمن وسجنه فى قلعة هناك فلمّا انهزم كتب الى مستحفظ القلعة يامره بقتل ابن رشيق فوصل القاصد وتقى الدين قد نازل القلعة فاخذ الكتاب وملك القلعة واطلق ابن رشيق وسار الى خلاط فحصرها ولم يكن فى كثرة من العسكر فلم يبلغ منها غرضًا فعاد عنها وقصد ملازكرد وحصرها وضيّق على من بها وطال[2] مقامه عليها [فلما ضاق عليهم الامر طلبوا منه المهلة ايّامًا ذكروها فاجابهم اليها][3] ومرض تقى الدين فمات قبل انقضآء الاجل بيومَيْن وتفرّقت العساكر عنها وحمله ابنه واصحابه ميّتًا الى ميّافارقين وعاد بكتمر قوى امره وثبت مُلكه بعد ان اشرف على الزوال وهذه الحادثة من الفرج بعد الشدّة فانّ ابن رشيق نجا من القتل وبكتمر نجا من ان يوخذ ☆

ذكر وصول الفرنج من الغرب فى البحر الى عكّا

وفى هذه السنة وصلت امداد الفرنج فى البحر الى الفرنج الذين على عكّا وكان اوّل مَن وصل منهم الملك فليب[4] ملك افرنسيس وهو من اشرف ملوكهم نسبًا وان كان ملكه ليس بالكثير وكان وصوله اليها ثانى عشر ربيع الاوّل ولم يكن فى الكثرة التى ظنّوها وانّما كان معه ستّ بُطس كبار عظيمة فقويت به نفوس مَن على عكّا منهم ولحوا فى قتال المسلمين الذين فيها وكان صلاح الدين بشفرعم[5] فكان يركب كلّ يوم ويقصد الفرنج ليشغلهم بالقتال عن مزاحفة البلد وارسل الى الامير اسامة مستحفظ بيروت يامره بتجهيز ما عنده من الشوانى والمراكب وتشحينها بالمقاتلة وتسييرها فى البحر ليمنع الفرنج من الخروج الى عكّا ففعل ذلك وسيّر الشوانى فى البحر فصادفت خمسة مراكب مملوّة رجالًا من اصحاب ملك انكلتار[6] الفرنج كان قد سيّرهم بين يديه وتاخّر هو بجزيرة قبرس ليملكها

---

[1]) حانى [2]) C. P. Ups.: وكان [3]) C. P. [4]) فلب
[5]) شفرعم [6]) انكبار

فاقتتلت شوانى المسلمين مع مراكب الفرنج فاستظهر المسلمون عليهم واخذوهم وغنموا ما معهم من قوت ومتاع ومال واسروا الرجال وكتب ايضًا صلاح الدين الى مَن بالقرب من النوّاب له يامرهم بمثل ذلك ففعلوا، واما الفرنج الذين على عكّا فانّهم لازموا قتال مَن بها ونصبوا عليها سبع مناجنيقات رابع جمادى الاولى [فلمّا راى صلاح الدين ذلك تحوّل من شفرعم[1] ونزل عليهم ليلًا يتعب[2] العسكر كلّ يوم فى المجئ اليهم والعود عنهم فقرب منهم وكانوا كلّما تحرّكوا للقتال ركب وقاتلهم من ورآء خندقهم فكانوا يشتغلون بقتالهم[3] فيخفّ القتال عمّن بالبلد ثمّ وصل ملك انكلتار ثالث عشر جمادى الاولى][4] وكان قد استولى فى طريقه على جزيرة قبرس واخذها من الروم فانّه لمّا وصل اليها غدر بصاحبها وملكها جميعًا فكان ذلك زيادة فى مُلكه وقوّة للفرنج فلمّا فرغ منها سار عنها الى مَن على عكّا من الفرنج فوصل اليهم فى خمس وعشرين قطعةً كبارًا مملوةً رجالًا واموالًا فعظم به شرّ الفرنج واشتدّت نكايتهم فى المسلمين وكان رجل زمانه شجاعة ومكرًا وجلدًا وصبرًا وبُلى المسلمون منه بالداهية التى لا مثل لها ولمّا وردت الاخبار بوصوله امر صلاح الدين بتجهيز بطسة كبيرة مملوةً من الرجال والعدد والاقوات فتجهّزت وسُيّرت من بيروت وفيها سبع مايّة مقاتل فلقيها ملك انكلتار[5] مصادفة فقاتلها وصبر مَن فيها على قتالها فلمّا ايسوا من الخلاص نزل مقدّم مَن بها الى اسفلها وهو يعقوب الحلبىّ مقدّم الجندارية يعرف بغلام ابن شقمن[6] فخرقها خرقًا واسعًا ليلًا يظفر الفرنج بمن فيها وما معهم من الذخاير فغرق جميع ما فيها وكانت عكّا محتاجة الى رجال لما ذكرناه من سبب نقصهم ثمّ انّ الفرنج عملوا دبّابات وزحفوا بها فخرج المسلمون وقاتلوهم بظاهر البلد واخذوا تلك الكباش فلمّا راى الفرنج انّ ذلك جميعه لا ينفعهم عملوا تلًّا كبيرًا من التراب مستطيلًا وما زالوا يقرّبونه الى البلد ويقاتلون من ورآيه لا ينالهم من البلد اذًى حتّى صار على نصف علوّه فكانوا يستظلّون به ويقاتلون

---

1) 740: سفرعم C. P. شعرعم 2) 740: تتبع 3) 740: بقتاله
4) C. P. et 740. in C. P. et 740. 5) انكمار 6) Verba يعرف — شقمن desunt

من خلفه فلم يكن للمسلمين فيه حيلة لا بالنار ولا بغيرها فحينئذ عظمت المصيبة على مَن بعكّا من المسلمين فارسلوا الى صلاح الدين يعرّفونه حالهم فلم يقدر لهم على نفع ☆

ذكر مُلك الفرنج عكّا

فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاخرة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة عكّا وكان اوّل وهن دخل على مَن بالبلد انّ الامير سيف الدين علىّ ابن احمد الهكّارىّ المعروف بالمشطوب كان فيها ومعه عدّة من الامرآء كان هو امثلهم واكبرهم خرج الى ملك افرنسيس وبذل له تسليم البلد بما فيه على ان يُطلق المسلمين الذين فيه ويمكّنهم من اللحاق بسلطانهم فلم يجبه الى ذلك فعاد علىّ ابن احمد الى البلد فوهن مَن فيه وضعُفت نفوسهم وتخاذلوا واقتتلوا انفسهم ثمّ انّ اميرَيْن ممّن كان بعكّا لمّا راوا ما فعلوا بالمشطوب وانّ الفرنج لم يجيبوا الى الامان اتخذوا الليل جملًا وركبوا فى شيئ صغير وخرجوا سرًّا من اصحابهم ولحقوا بعسكر المسلمين وهم عزّ الدين ارسل الاسدىّ وابن عزّ الدين جاولى وسنقر الوشاقىّ ومعهم غيرهم فلمّا اصبح الناس وراوا ذلك ازدادوا وهنًا الى وهنهم وضعفًا الى ضعفهم وايقنوا بالعطب ثمّ انّ الفرنج ارسلوا الى صلاح الدين فى معنى تسليم البلد فاجابهم الى ذلك والشرط بينهم ان يُطلق من اسرائهم بعدد مَن فى البلد ليطلقوا هم مَن بعكّا وان يسلّم اليهم صليب الصلبوت فلم يقنعوا بما بذل فارسل الى مَن بعكّا من المسلمين يامرهم ان يخرجوا من عكّا يدًا واحدة ويتركوا البلد بما فيه ووعدهم انّه يتقدّم الى تلك الجهة التى يخرجون منها بعساكره ويقاتل الفرنج فيها ليلحقوا به فشرعوا فى ذلك واشتغل كلّ منهم باستصحاب ما يملكه فلمّا فرغوا من اشغالهم حتّى اسفر الصبح فبطل ما عزموا عليه لظهوره فلمّا عجز الناس من حفظ البلد وزحف اليهم الفرنج بحدّهم وحديدهم فظهر مَن بالبلد على سوره يحرّكون اعلامهم ليراها المسلمون وكانت هى العلامة اذا اختزمهم امرٌ فلمّا راى المسلمون ذلك ضجّوا بالبكآء والعويل وحملوا على الفرنج من جميع جهاتهم طلبًا منهم انّ الفرنج يشتغلون عن الذين بعكّا وصلاح الدين يحرّضهم وهو فى اوّلهم وكان الفرنج قد خفّوا عن خنادقهم ومالوا

الى جهة البلد فقرب المسلمون من خنادقهم حتّى كادوا يدخلونها عليهم ويضعون السيف فيهم فوقع الصوت فعاد الفرنج ومنعوا المسلمين وتركوا فى مقابلة مَن بالبلد مَن يقاتلهم فلمّا راى المشطوب انّ صلاح الدين لا يقدر على نفع ولا يدفع عنهم ضرًّا خرج الى الفرنج وقرّر معهم تسليم البلد وخروج مَن فيه باموالهم وانفسهم وبذل لهم عن ذلك مايتىْ الف دينار وخمسمايَة اسير من المعروفين واعادة صليب الصلبوت واربعة عشر الف دينار للمركيس صاحب صور فاجابوه الى ذلك وحلفوا له عليه وان يكون مدّة تحصيل المال والاسرى الى شهرَيْن فلمّا حلفوا له سلّم البلد اليهم ودخلوه سلمًا فلمّا ملكوه غدروا واحتاطوا على مَن فيه من المسلمين وعلى اموالهم وحبسوهم واظهروا انّهم يفعلون ذلك ليصل اليهم ما بذل لهم وراسلوا صلاح الدين فى ارسال المال والاسرى والصليب حتّى يُطلقوا مَن عندهم فشرع فى جمع المال وكان هو الامان له انّما يخرج ما يصل اليه من دخْل البلاد اوّلاً باوّل فلمّا اجتمع عنده من المال مايَة الف دينار جمع الامرآء واستشارهم فاشاروا بان لا يرسل شيًا حتّى يعاود يستحلفهم على اطلاق اصحابه وان يضمن الداويّة ذلك لانّهم اهل دين يرون الوفآء فراسلهم صلاح الدين فى ذلك فقال الداويّة لا نحلف ولا نضمن لانّنا نخاف غدر مَن عندنا وقال ملوكهم اذا سلّمتم الينا المال والاسرى والصليب فلنا الخيار فيمن عندنا فحينيُذ علم صلاح الدين عزمهم على الغدر فلم يرسل اليهم شيًا واعاد الرسالة اليهم وقال نحن نسلّم اليكم هذا المال والاسرى والصليب ونعطيكم رهنًا على الباقى وتطلقون اصحابنا وتضمن الداويّة الرهن ويحلفون على الوفآء لهم فقالوا لا نحلف انّما ترسل الينا المايَة الف دينار التى حصلت والاسرى والصليب ونحن نطلق من اصحابكم مَن نريد ونترك مَن نريد حتّى يجىء باقى المال فعلم الناس حينيُذ غدرهم وانّما يُطلقون غلمان العسكر والفقرآء والاكراد ومن لا يوبه له ويمسكون عندهم الامرآء وارباب الاموال ويطلبون منهم الفدآء فلم يجبهم السلطان الى ذلك ، فلمّا كان اليوم الثلاثآء السابع والعشرين من رجب ركب الفرنج وخرجوا الى ظاهر البلد بالفارس والراجل وركب المسلمون اليهم وقصدوهم وحملوا عليهم فانكشفوا عن موافقهم واذ اكثر مَن كان عندهم من

المسلمين قتلى قد وضعوا فيهم السيف واستبقوا الامرآء والمقدّمين ومَن كان له مال وقتلوا مَن سواهم من سوادهم واصحابهم ومَن لا مال له فلمّا راى صلاح الدين ذلك تصرّف فى المال الذى كان جمعه وسيّر الاسرى والصليب الى دمشق ۞

ذكر رحيل الفرنج الى ناحية عسقلان وتخريبها

لمّا فرغ الفرنج لعنهم الله من اصلاح امر عكّا برزوا منها فى الثامن والعشرين من رجب وساروا مستهلّ شعبان نحو حيفا[1] مع شاطئ البحر لا يفارقونه فلمّا سمع صلاح الدين برحيلهم نادى فى عسكر بالرحيل فساروا وكان على اليزك ذلك اليوم الملك الافضل ولد صلاح الدين ومعه سيف الدين ايازكوش وعزّ الدين جورديك وعدّة من شجعان الامرآء فضايقوا الفرنج فى مسيرهم وارسلوا عليهم من السهام ما كاد يحجب الشمس ووقعوا على ساقة الفرنج فقتلوا منها جماعة واسروا جماعة وارسل الافضل الى والده يستمدّه ويعرّفه الحال فامر العساكر بالمسير اليه فاعتذروا بانّهم ما ركبوا باهبّة الحرب وانّما كانوا على عزم المسير لا غير فبطل المدد وعاد ملك الانكلتار[2] الى ساقة الفرنج فجماها وجمعهم وساروا حتّى اتوا حيفا[1] فنزلوا بها ونزل المسلمون بقيمون[3] قريبة بالقرب منهم واحصر الفرنج من عكّا عوّض مَن قُتل منهم وأُسر ذلك اليوم وعوّض ما هلك من الخيل ثمّ ساروا الى قيساريّة والمسلمون يسايرونهم ويتحفّظون منهم مَن قدروا عليه فيقتلونه لانّ صلاح الدين كان قد اقسم انّه لا يظفر باحد منهم الّا قتله بمن قتلوا ممّن كان بعكّا فلمّا قاربوا قيساريّة لاصقهم المسلمون وقاتلوهم اشدّ قتال فنالوا منهم نيلًا كثيرًا ونزل الفرنج بها وبات المسلمون قريبًا منهم فلمّا نزلوا خرج من الفرنج جماعة فابعدوا عن جماعتهم فاوقع بهم المسلمون الذين كانوا فى اليزك فقتلوا منهم واسروا منهم ثمّ ساروا من قيساريّة الى ارسوف وكان المسلمون قد سبقوهم اليها ولم يمكنهم مسايرتهم لضيق الطريق فلمّا وصل الفرنج اليهم حمل المسلمون عليهم حملة منكرة لحقوهم بالبحر ودخله بعضهم فقُتل منهم كثير فلمّا

(1 خيفا (2 الانكلمار (3 بعمون

راى الفرنج ذلك اجتمعوا وحملت الخيّالة على المسلمين حملة رجل واحد فولّوا منهزمين لا يلوى احدٌ على احد وكان كثير من الخيّالة والسوقة قد الفوا القيام وقت الحرب قريبًا من المعركة فلمّا كان ذلك اليوم كانوا على حالهم فلمّا انهزم المسلمون عنهم قُتل منهم كثير والنجا المنهزمون الى القلب وفيه صلاح الدين فلو علم الفرنج انّها هزيمة لتبعهم واشتهرت الهزيمة وهلك المسلمون لكنّ كان بالقرب من المسلمين شعرة كثيرة الشجر فدخلوها وظنّها الفرنج مكيدة فعادوا وزال عنهم ما كانوا فيه من الضيق وقُتل من الفرنج كند كبير من طواغيتهم وقُتل من المسلمين مملوك لصلاح الدين اسمه ايازُ الطويل وهو من الموصوفين بالشجاعة والشهامة لم يكن فى زمانه مثله فلمّا نزل الفرنج نزل المسلمون واعتنّ خيلهم بايديهم ثمّ سار الفرنج الى يافا فنزلوها ولم يكن بها احد من المسلمين فملكوها ولمّا كان من المسلمين بارسوف من الهزيمة ما ذكرناه سار صلاح الدين عنهم الى الرملة واجتمع باثقاله بها وجمع الامرآء واستشارهم فيما يفعل فاشاروا عليه بتخريب عسقلان وقالوا له قد رايتَ ما كان منّا بالامس واذا جآء الفرنج الى عسقلان ووقفنا فى وجوههم نصدّهم عنها فهم لا شكّ يقاتلوننا لننزاح عنها وينزلون عليها فاذا كان ذلك عُدنّا الى مثل ما كنّا عليه على عكّا ويعظم الامر علينا لانّ العدوّ قد قوى باخذ عكّا وما فيها من الاسلحة وغيرها ونحن قد ضعُفنا بما خرج عن ايدينا ولم تطُل المدّة حتّى نستجدّ غيرها فلم تسمح نفسه بتخريبها وندب الناس الى دخولها وحفظها فلم يجبه احد الى ذلك وقالوا ان اردتَ حفظها فادخل انت معنا او بعض اولادك الكبار والّا فما يدخلها منّا احد ليُلا يصيبنا ما اصاب اهل عكّا ، فلمّا راى الامر كذلك سار الى عسقلان وامر بتخريبها فخربت تاسع عشر شعبان والقيتْ حجارتها فى البحر وهلك فيها من الاموال والذخاير التى للسلطان والرعيّة ما لا يمكن حصره وعفّى اثرها حتّى لا يبقى للفرنج فى قصدها مطمع ، ولمّا سمع الفرنج بتخريبها اقاموا مكانهم ولم يسيروا اليها وكان المركيس لعنه الله لمّا اخذ الفرنج عكّا قد احسّ من ملك انكلتار بالغدر به فهرب من عنده الى مدينة صور وهى له وبيده وكان رجل الفرنج رايًا وشجاعة وكلّ هذه الحروب هو اثارها

فلمّا خربت عسقلان ارسل الى ملك انكلتار يقول له مثلك لا ينبغى ان يكون ملكًا ويتقدّم على الجيوش نسمع انّ صلاح الدين قد خرّب عسقلان وتقيم مكانك يا جاهل لمّا بلغك انّه قد شرع فى تخريبها كنتَ سرتَ اليه مجدًّا فرحّلتَه وملكتَها صفوًا عفوًا بغير قتال ولا حصار فانّه لا خرّبها الّا وهو عاجز عن حفظها وحقّ المسيح لو انّنى معك كانت عسقلان اليوم بايدينا لم تخرب منها غير برج واحد ، فلمّا خرّبت عسقلان رحل صلاح الدين عنها ثانى شهر رمضان ومضى الى الرملة فخرّب حصنها وخرّب كنيسة لدّ وفى مدّة مقامه لتخريب عسقلان كانت العساكر مع الملك العادل ابى بكر بن ايّوب نجدة الفرنج ثمّ سار صلاح الدين الى القدس بعد تخريب الرملة فاعتبره وما فيه من سلاح وذخاير وقرّر قواعده واسبابه وما يحتاج اليه وعاد الى المخيّم ثامن رمضان وفى هذه الايّام خرج ملك انكلتار من يافا ومعه نفر من الفرنج من معسكرهم فوقع به نفر من المسلمين فقاتلوهم قتالاً شديدًا وكاد ملك انكلتار يؤسر ففداه بعض اصحابه بنفسه فتخلّص الملك وأُسر ذلك الرجل ، وفيها ايضًا كانت وقعة بين طايفة من المسلمين وطايفة من الفرنج انتصر المسلمون ۞

ذكر رحيل الفرنج الى نطرون

لمّا راى صلاح الدين انّ الفرنج قد لزموا يافا ولم يفارقوها وشرعوا فى عمارتها رحل من منزلته الى النطرون ثالث عشر رمضان وخيّم به فراسله ملك انكلتار يطلب المهادنة فكانت الرسل تتردّد الى الملك العادل ابى بكر بن ايّوب اخى صلاح الدين فاستقرّت القاعدة انّ انكلتار يزوّج اخته من العادل ويكون القدس وما بايدى المسلمين من بلاد الساحل للعادل ويكون عكّا وما بيد الفرنج من البلاد لاخت انكلتار مُضافًا الى مملكة كانت لها داخل البحر قد ورثتْها من زوجها وان يرضى الداويّة بما يقع الاتّفاق عليه فعرض العادل ذلك على صلاح الدين فاجاب اليه فلمّا ظهر الخبر اجتمع القسيسون والاساقفة والرهبان الى اخت انكلتار وانكروا عليها فامتنعت من الاجابة وقيل كان المانع منه غير ذلك والله اعلم وكان العادل وملك انكلتار يجتمعون بعد ذلك ويتجاريان حديث الصلح وطلب من العادل ان يُسمعه غنآء المسلمين فاحضر له مغنّية

تضرب بالجنك فغنّت له فاستحسن ذلك ولم يتمّ بينهما صلح وكان ملك انكلتار يفعل ذلك خديعة ومكرًا ، ثمّ أنّ الفرنج اظهروا العزم على قصد بيت المقدس فسار صلاح الدين الى الرملة جريدة وترك الاثقال بالنطرون وقرب من الفرنج وبقى عشرين يومًا ينتظرهم فلم يبرحوا فكان بين الطايفتَيْن مدّة المقام عدّة وقعات فى كلّها ينتصر المسلمون على الفرنج وعاد صلاح الدين الى النطرون ورحل الفرنج من يافا الى الرملة ثالث ذى القعدة على عزم قصد البيت المقدّس فقرب بعضهم من بعض فعظم الخطب واشتدّ الحذر فكان كلّ ساعة يقع الصوت فى العسكرَيْن باللقآء فلقوا من ذلك شدّة شديدة واقبل الشتآء وحالت الاحوال والامطار بينهما ☆

ذكر مسير صلاح الدين الى القدس

لمّا راى صلاح الدين انّ الشتآء قد هجم والامطار متوالية متتابعة والناس منها فى ضنك وحرج ومن شدّة البرد ولبس السلاح والسهر فى تعب دايم وكان كثير من العساكر قد طال بيكارها فاذن لهم فى العود الى بلادهم للاستراحة والاراحة وسار هو الى البيت المقدّس فيمن بقى معه فنزلوا جميعًا داخل البلد فاستراحوا ممّا كانوا فيه ونزل هو بدار الاقصى مجاور ببعة قامة وقدم اليه عسكر مصر مقدّمهم الامير ابو الهيجآء السمين فقويت نفوس المسلمين بالقدس وسار الفرنج من الرملة الى النطرون ثالث ذى الحجّة على عزم قصد القدس فكانت بينهم وبين يزك المسلمين وقعات أسر المسلمون فى وقعة منها نيّفًا وخمسين فارسًا من مشهورى الفرنج وشجعانهم وكان صلاح الدين لمّا دخل القدس امر بعمارة سوره وتجديد ما رثّ منه فاحكم الموضع الذى مُلك البلد منه واتقنه وامر بحفر خندق خارج الفصيل وسلّم كلّ برج الى امير يتولّى عمله فعمل ولده الافضل من ناحية باب عمود الى باب الرحمة وارسل اتابك عزّ الدين مسعود صاحب الموصل جماعة من الجصّاصين لهم فى قطع الصخر اليدُ الطولى فعملوا له هناك برجًا وبدنة وكذلك جميع الامرآء ثمّ انّ الحجارة قلّت عند العمّالين فكان صلاح الدين رحمه الله يركب وينقل الحجارة بنفسه على دابّته من الامكنة البعيدة فيقتدى به العسكر فكان يجمع عنده من العمّالين فى اليوم الواحد يعملون قدر عدّة ايّام ☆

ذكر عود الفرنج الى الرملة

فى العشرين من ذى الحجّة عاد الفرنج الى الرملة وكان سبب عودهم انّهم كانوا ينقلون ما يريدونه من الساحل فلمّا ابعدوا عنه كان المسلمون يخرجون على مَن يجلب لهم الميرة فيقطعون الطريق ويغنمون ما معهم ثمّ انّ ملك انكلتار قال لمن معه من الفرنج الشاميّين صوّروا الىّ مدينة القدس فانى ما رايتُها فصوّروها له فراى الوادى يحيط بها ما عدا موضع يسير من جهة الشمال فسأل عن الوادى وعن عمقه فاخبر انّه عميق وعرُ المسلك فقال هذه مدينة لا يمكن حصرُها مهما صلاح الدين حىٌّ وكلمة المسلمين مجتمعة لانّنا ان نزلنا فى الجانب الذى يلى المدينة بقيت ساير الجوانب غير محصورة فيدخل اليها منها الرجال الذخاير وما يحتاجون اليه وان نحن افترقنا فنزل بعضنا من جانب الوادى وبعضنا من الجانب الاخر جمع صلاح الدين اصحابه وواقع احدى الطايفتَيْن ولم يمكن الطايفة الاخرى انجاد اصحابهم لانّهم ان فارقوا مكانهم خرج مَن بالبلد من المسلمين فغنموا ما فيه وان تركوا فيه مَن يحفظه وساروا نحو اصحابهم فالى ان يتخلّصوا من الوادى ويلحقوا بهم قد فرغ صلاح الدين منهم هذا سوى ما يتعذّر علينا من ايصال ما يحتاج اليه من العلوفات والاقوات فلمّا قال لهم ذلك علموا صدقه ورأوا قلّة الميرة عندهم وما يجرى للجالبين لها من المسلمين فاشاروا عليه بالعود الى الرملة فعادوا خايبين خاسرين ☆

ذكر قتل قزل ارسلان

فى شعبان من هذه السنة قُتل قزل ارسلان واسمه عثمان بن ايلدكز وقد ذكرنا انّه ملك البلاد بعد وفاة اخيه البهلوان ملك اران واذربيجان وهمذان واصفهان والرىّ وما بينهما واطاعه صاحب فارس وخوزستان واستولى على السلطان طغرل فاعتقله فى بعض القلاع ودانت له البلاد وفى اخر امره سار الى اصفهان والفتن بها متّصلة من لدن توفّى البهلوان الى ذلك الوقت فتعصّب على الشافعيّة واخذ جماعة من اعيانهم فصلبهم وعاد الى همذان وخطب لنفسه بالسلطنة وضرب النوب الخمس ثمّ انّه دخل ليلة قُتل الى منزله لينام وتفرّق اصحابه فدخل اليه مَن قتله على فراشه ولم

يُعرف قاتله فاخذ اصحابه صاحب بابه ظنًّا وتخمينًا، وكان كريمًا حسن الاخلاق يحبّ العدل ويوثره ويرجع الى حلم وقلّة عقوبة ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قدم معزّ الدين قيصر شاه بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم على صلاح الدين فى رمضان وكان سبب قدومه انّ والده عزّ الدين قلج ارسلان فرق مملكته على اولاده واعطى ولده هذا ملطيّة واعطى ولده قطب الدين ملك شاه سيواس فاستولى قطب الدين على ابيه وحجر عليه وازالَ حكمه والزمه ان ياخذ ملطيّة من هذا اخيه وسلّمها اليه فخاف معزّ الدين فسار الى صلاح الدين ملتجيًا اليه معتضدًا به فاكرمه صلاح الدين وزوّجه بابنة اخيه الملك العادل فامتنع قطب الدين من قصده وعاد معزّ الدين الى ملطيّة فى ذى القعدة، وحدّثنى من اثق به قال رايتُ صلاح الدين وقد ركب ليودّع هذا معزّ الدين فترجّل له معزّ الدين وترجّل صلاح الدين وودّعه راجلاً فلمّا اراد الركوب عضده هذا معزّ الدين وركّب وسوّى ثيابه علاء الدين خرمشاه بن عزّ الدين صاحب الموصل قال فعجبتُ من ذلك وقلتُ ما تبالى يا ابن ايّوب اىّ موته تموت يركّبك ملك سلجوقىّ وابن اتابك زنكى، وفيها توفّى حسام الدين محمّد بن عمر بن لاجين وهو ابن اخت صلاح الدين، وعلم الدين سليمان بن جندر[1] وهو من اكابر امرآء صلاح الدين ايضًا، وفى رجب توفّى الصفى بن القابض وكان متولّى دمشق لصلاح الدين يحكم فى جميع بلاده ✿

سنة ٥٨٨. **ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة**

ذكر عمارة الفرنج عسقلان

فى هذه السنة فى المحرّم رحل الفرنج نحو عسقلان وشرعوا فى عمارتها وكان صلاح الدين بالقدس فسار ملك انكلتار جريدة من عسقلان الى يزك المسلمين فواقعهم وجرى بين الطايفتين قتال شديد انتصف بعضهم من بعض وفى مدّة مقام صلاح الدين بالقدس ما برحت سراياه تقصد الفرنج

---

[1] حندر

فتارة تواقع طايفة منهم وتارة تقطع الميرة عنهم ومن جملتها سريّة كان مقدّمها فارس الدين ميمون القصرىّ وهو من مقدّمى المماليك الصلاحيّة خرج على قافلة كبيرة للفرنج فاخذها وغنم ما فيها ☆

ذكر قتل المركيس وملك الكند هرى

فى هذه السنة فى ثالث عشر ربيع الاخر قُتل المركيس الفرنجىّ لعنه الله صاحب صور وهو اكبر شياطين الفرنج وكان سبب قتله انّ صلاح الدين راسل مقدّم الاسماعيليّة وهو سنان ان ارسل من يقتل ملك انكلتار وان قتل المركيس فله عشرة آلاف دينار فلم يمكنهم قتل ملك انكلتار ولم يره سنان مصلحة لهم ليخلو وجه صلاح الدين من الفرنج ويتفرّغ لهم وشرع فى اخذ المال فعدل الى قتل المركيس فارسل رجلين فى زىّ الرهبان واتّصلا بصاحب صيدا وابن بارزان صاحب رملة[1] وكانا مع المركيس بصور فاقاما معهما ستّة اشهر يظهران العبادة فانس بهما المركيس ووثق اليهما فلمّا كان بعد التاريخ عمل الاسقف بصور دعوة للمركيس فحضرها واكل طعامه وشرب مُدامه وخرج من عنده فوثب عليه الباطنيّان المذكوران فجرحاه جراحًا وثيقة وهرب احدهما ودخل كنيسة يختفى فيها فاتّفق انّ المركيس حُمل اليها ليشدّ جراحه فوثب عليه ذلك الباطنىّ فقتله وقُتل الباطنيّان بعده ونسب الفرنج قتله الى وضع من ملك انكلتار ليتفرد بملك الساحل الشامىّ فلمّا قُتل ولى بعده مدينة صور كند من الفرنج من داخل البحر يقال له الكند هرى وتزوّج بالملكة فى ليلته ودخل بها وهى حامل وليس الحمل عندهم ممّا يمنع النكاح وهذا الكند هرى هو ابن اخت ملك افرنسيس من ابيه وابن اخت ملك انكلتار من امّه وملك هذا كند هرى بلاد الفرنج بالساحل بعد عود ملك انكلتار وعاش الى سنة اربع وتسعين وخمسمايّة فسقط من سطح فمات وكان عاقلًا كثير المداراة والاحتمال ولمّا رحل ملك انكلتار الى بلاده ارسل هذا كند هرى الى صلاح الدين يستعطفه ويستميله يطلب منه خلعة وقال انت تعلم انّ لبس القبآء والشربوش عندنا عيب وانا البسهما

---

[1]) C. P. et 740. Ups.: صالة

منك محبةً لك فانفذ اليه خلعة سنيّة منها القبآء والشربوش فلبسهما بعكّا ۞

ذكر نهب بنى عامر البصرة[1]

فى هذه السنة فى صفر اجتمع بنو عامر فى خلق كثير واميرهم عميرة وقصدوا البصرة وكان الامير بها اسمه محمّد بن اسمعيل ينوب عن مقطعها الامير طغرل مملوك الخليفة الناصر لدين الله فوصلوا اليها يوم السبت سادس صفر فخرج اليهم الامير محمّد فيمَنْ معه من الجند فوقعت الحرب بينهم بدرب الميدان بجانب الخريبة[2] ودام القتال الى اخر النهار فلمّا جآء الليل ثلم العرب فى السور عدّة ثلُم ودخلوا البلد من الغد فقاتلهمَ اهل البلد فقُتل بينهم قتلى كثيرة من الفريقَيْن ونهبت العرب الخانات بالشاطئ وبعض محالّ البصرة وعبر اهلها الى شاطئ الملّاحين وفارق العرب البلد فى يومهم وعاد اهله اليه وكان سبب سرعة العرب فى مفارقة البلد انّهم بلغهم انّ خفاجة والمنتفق قد قاربوهم فساروا اليهم وقاتلوهم اشدّ قتال فظفرت عامرٌ وغنمت اموال خفاجة والمنتفق وعادوا الى البصرة بكرة الاثنين وكان الامير قد جمع من اهل البصرة والسواد جمعًا كثيرًا فلمّا عادت عامر قاتلهم اهل البصرة ومَن اجتمع معهم فلم يقوموا للعرب وانهزموا ودخل العرب البصرة ونهبوها وفارق البصرة اهلها ونُهبت اموالهم وجرت امور عظيمة ونُهبت القساميل[3] وغيرها يومَيْن وفارقها العرب وعاد اهلها اليها وقد رايتُ هذه القصّة بعينها فى سنة ثلاث وتسعين وخمسمايئة والله اعلم ۞

ذكر ما كان من ملك انكلتار

فى تاسع جمادى الاولى من هذه السنة استولى الفرنج على حصن الدارم فخرّبوه ثمّ ساروا الى البيت المقدّس وصلاح الدين فيه فبلغوا بيت نوبة[4] وكان سبب طمعهم انّ صلاح الدين فرق عساكره الشرقيّة وغيرها لاجل الشتآء ويستريحوا وليحضر البدل عوضهم وسار بعضهم مع ولده الافضل واخيه العادل الى البلاد الجزريّة لما نذكره ان شآء الله تعالى وبقى من حلقته الخاصّ بعض العساكر المصريّة فظنّوا انّهم ينالون غرضًا ،

---

[1]) In C. P. et 740 hoc caput proxime antecedenti præmissum est.
[2]) C. P.: الخربه Ups.: الخربه [3]) C. P. et 740. Ups.: نهب امل [4]) نوبه

فلمّا سمع صلاح الدين بقربهم منه فرّق ابراج البلد على الامراء وسار الفرنج من بيت نوبة[1] الى قلونية سلخ الشهر وهى فرسخين من القدس فصبّ المسلمون عليهم البلآء وتابعوا ارسال السرايا قِبَل الفرنج منهم بما لا قِبَل لهم به وعلموا انّهم اذا نازلوا القدس كان الشرّ اليهم اسرع والتسلّط عليهم امكن فرجعوا القهقهرى وركب المسلمون اكتافهم بالرماح والسهام ولمّا بَعُد الفرنج عن يافا سيّر صلاح الدين سريّة من عسكره اليها فقاربوها وكمنوا عندها فاجتاز بهم جماعة من فرسان الفرنج مع قافلة فخرجوا عليهم فقتلوا منهم واسروا وغنموا وكان ذلك اخر جمادى الاولى ☆

ذكر استيلآء الفرنج على عسكر المسلمين وقَفْل

فى تاسع جمادى الاخرة بلغ الفرنج الخبر بوصول عسكر من مصر ومعهم قفل كبير ومقدّم العسكر فلك الدين سليمان اخو العادل لامّه ومعه عدّة من الامرآء فاسرى الفرنج اليهم فواقعهم بنواحى الخليل فانهزم الجند ولم يُقتل منهم احد من المشهورين انّما قُتل من الغلمان والاصحاب وغنم الفرنج خيامهم والاتهم وامّا القفل فانّه أُخذ بعضه وصعد من نجا جبل الخليل فلم يقدم الفرنج على اتباعهم ولو اتبعوهم نصف فرسخ لاتوا عليهم وتمزّق من نجا من القفل وتقطّعوا ولقوا شدّة الى ان اجتمعوا ؛ حكى لى بعض اصحابنا وكنّا قد سيّرنا معه شيئًا للتجارة الى مصر وكان قد خرج فى هذا القفل قال لمّا وقع الفرنج علينا كنّا قد رفعنا احمالنا للسير فحملوا علينا واوقعوا بنا فضربتُ جمالى وصعدتُ الجبل ومعى عدّة اجمال لغيرى فلحقنا قوم من الفرنج فاخذوا الاجمال التى فى صحبتى وكنتُ بين ايديهم بمقدار رمية سهم فلم يصلوا الىّ فنجوتُ بما معى وسرتُ لا ادرى اين اقصد واذ قد لاح لى بنآء كبير على جبل فسالتُ عنه فقيل لى هذا الكرك فوصلتُ اليه ثمّ عُدْتُ منه الى القدس سالمًا وسار هذا الرجل من القدس سالمًا فلمّا بلغ بُزاعة عند حلب اخذه الحرامية فنجا من العطب وهلك عند ظنّه السلامة ☆

ذكر سير الافضل والعادل الى بلاد الجزيرة

---

[1] نوبه

قد تقدّم ذكر موت تقى الدين عمر ابن صلاح الدين واستيلآء ولده ناصر الدين محمّد على بلاد الجزيرة فلمّا استولى عليها ارسل الى صلاح الدين يطلب تقريرها عليه مُضافًا الى ما كان لابيه بالشام فلم ير صلاح الدين انّ مثل تلك البلاد تُسلّم الى صبىّ فا اجابه الى ذلك فحدث نفسه بالامتناع على صلاح الدين لاشتغاله بالفرنج فطلب الافضل علىٌّ ابن صلاح الدين من ابيه ان يُقطعه ما كان لتقى الدين وينزل عن دمشق فاجابه الى ذلك وامره بالمسير اليها فسار الى حلب فى جماعة من العسكر وكتب صلاح الدين الى اصحاب البلاد الشرقيّة مثل صاحب الموصل وصاحب سنجار وصاحب الجزيرة وصاحب ديار بكر وغيرها يامرهم بانفاذ العساكر الى ولده الافضل ، فلمّا راى ولد تقى الدين ذلك علم انّه لا قوّة له بهم فراسل الملك العادل عمّ ابيه يساله اصلاح حاله مع صلاح الدين فانهى ذلك الى صلاح الدين واصلح حاله وقرّر قاعدته بان يقرّر له ما كان لابيه بالشام وتوخذ منه البلاد الجزريّة واستقرّت القاعدة على ذلك واقطع صلاح الدين البلاد الجزريّة وهى حرّان والرها وسميساط وميّافارقين وحانى العادل وسيّره الى ابن تقى الدين ليتسلّم منه البلاد ويُسيره الى صلاح الدين ويُعيد الملك الافضل اين ادركه فسار العادل فلحق الافضل بحلب فاعاده الى ابيه وعبر العادل الفراة وتسلّم البلاد من ابن تقى الدين وجعل نوّابه فيها واستصحب ابن تقى الدين معه وعاد الى صلاح الدين بالعساكر وكان عوده فى جمادى الاخرة من هذه السنة ☆

ذكر عود الفرنج الى عكّا

لمّا عاد الملك الافضل فيمن معه وعاد الملك العادل وابن تقى الدين فيمن معهما من عساكرهما ولحقتهم العساكر الشرقيّة عسكر الموصل وعسكر ديار بكر وعسكر سنجار وغير ذلك من البلاد واجتمعت العساكر بدمشق ايقن الفرنج انّهم لا طاقة لهم بها اذا فارقوا البحر فعادوا نحو عكّا يُظهرون العزم على قصد بيروت ومحاصرتها فامر صلاح الدين ولدَه الافضل ان يسير اليها فى عسكره والعساكر الشرقيّة جميعها معارضًا للفرنج فى مسيرهم نحوها فسار الى مرج العيون واجتمعت العساكر معه فاقام هنالك ينتظر مسير الفرنج فلمّا بلغهم ذلك اقاموا بعكّا ولم يفارقوها ☆

Digitized by Google

ذكر مُلك صلاح الدين يافا

لمّا رحل الفرنج نحو عكّا كان قد اجتمع عند صلاح الدين عسكر حلب وغيره فسار الى مدينة يافا وكانت بيد الفرنج فنازلها وقاتل مَن بها منهم وملكها فى العشرين من رجب بالسيف عنوةً ونهبها المسلمون وغنموا ما فيها وقتلوا الفرنج واسروا كثيرًا وكان بها اكثر ما اخذوه من عسكر مصر والقفل الذى كان معهم وقد ذُكر ذلك وكان جماعة من المماليك الصلاحيّة قد وقفوا على ابواب المدينة وكلّ مَن خرج من الجند ومعه شئ من الغنيمة اخذوه منه فان امتنع ضربوه واخذوا ما معه قهرًا ثمّ زحفت العساكر الى القلعة فقاتلوا عليها اخر النهار وكادوا ياخذونها فطلب مَن بالقلعة الامان على انفسهم وخرج البترك الكبير الذى لهم ومعه عدّة من اكابر الفرنج فى ذلك وتردّدوا وكان قصدهم منع المسلمين عن القتال فادركهم الليل وواعدوا المسلمين ان ينزلوا بكرة غد ويسلّموا القلعة فلمّا اصبح الناس طالبهم صلاح الدين بالنزول عن الحصن فامتنعوا وان قد وصلهم نجدة من عكّا وادركهم ملك انكلتار فاخرج مَن بيافا من المسلمين واتاه المدد من عكّا وبرز الى ظاهر المدينة واعترض المسلمين وحده وحمل عليهم فلم يتقدّم اليه احد فوقف بين الصفّين واستدعا طعامًا من المسلمين ونزل اكل فامر صلاح الدين عسكره بالحملة عليهم وبالجدّ فى قتالهم فتقدّم اليه بعض امرآيه يعرف بالجناح وهو اخو المشطوب بن علىّ ابن احمد الهكّارىّ فقال له يا صلاح الدين قل لمماليكك الذين اخذوا امس الغنيمة وضربوا الناس بالجاقات يتقدّمون فيقاتلون اذا كان القتال فنحن واذا كانت الغنيمة فلهم فغضب صلاح الدين من كلامه وعاد عن الفرنج وكان رحمه الله حليمًا كريمًا لمقدرة ونزل فى خيامه واقام حتّى اجتمعت العساكر وجآء اليه ابنه الافضل واخوه العادل وعساكر الشرق فدخل بهم الى الرملة لينظر ما يكون منه ومن الفرنج فلزم الفرنج يافا ولم يبرحوا منها ☆

ذكر الهدنة مع الفرنج وعود صلاح الدين الى دمشق

فى العشرين من شعبان من هذه السنة عقدت بين المسلمين والفرنج لمدّة ثلاث سنين وثمانية اشهر اوّلها هذا التاريخ وافق اوّل ايلول وسبب

الصلح انّ ملك انكلتار لمّا رأى اجتماع العساكر وانّه لا يمكنه مفارقة ساحل البحر وليس بالساحل للمسلمين بلد يطمع فيه وقد طالت غيبته عن بلاده راسل صلاح الدين فى الصلح واظهر من ذلك ضدّ ما كان يظهره اوّلاً فلم يجبه صلاح الدين الى ما طلب ظنًّا منه انّه يفعل ذلك خديعةً ومكرًا وارسل يطلب منه المصافّ والحرب فاعاد الفرنجىّ رسله مرّة بعد مرّة وترك تتمّة عمارة عسقلان وعن غزّة والداروم والرملة وارسل الى الملك العادل فى تقرير هذه القاعدة فاشار هو وجماعة الامرآء بالاجابة الى الصلح وعرّفوه ما عند العسكر من الضجر والملل وما قد هلك من اسلحتهم ودوابّهم ونفد من نفقاتهم وقالوا انّ هذا الفرنجىّ انّما طلب الصلح ليركب البحر ويعود الى بلاده فان تاخّرت اجابته الى ان يجىء الشتآء وينقطع الركوب فى البحر نحتاج نبقى هاهنا سنة اخرى وحينيئذ يعظم الضرر على المسلمين واكثروا القول له فى هذا المعنى فاجاب حينيئذ الى الصلح فحضر رسل الفرنج وعقدوا الهدنة وتحالفوا على هذه القاعدة وكان فى جملة من حضر عند صلاح الدين باليان بن بارزان[1] الذى كان صاحب الرملة ونابلس فلمّا حلف صلاح الدين قال له ما عمل احد فى الاسلام ما عملتَ ولا هلك من الفرنج مثل ما هلك منهم هذه المدّة فانّنا احصينا مَن خرج الينا فى البحر من المقاتلة فكانوا ستّمائة الف رجل ما عاد منهم الى بلادهم من كلّ عشرة واحد بعضهم قتلتهم انت وبعضهم مات وبعضهم غرق ، ولمّا انفصل امر الهدنة اذن صلاح الدين للفرنج فى زيارة بيت المقدس فزاروه وتفرّقوا وعادتْ كلّ طايفة الى بلادها واقام بالساحل الشامىّ ملكًا على الفرنج والبلاد التى بايديهم الكند هرى وكان خيّر الطبع قليل الشرّ رفيقًا بالمسلمين محبًّا لهم وتزوّج بالملكة التى كانت تملك بلاد الفرنج قبل ان يملكها صلاح الدين كما ذكرناه ، واما صلاح الدين فانّه بعد تمام الهدنة سار الى البيت المقدّس وامر باحكام سوره وعمل المدرسة والرباط والبيمارستان وغير ذلك من مصالح المسلمين ووقف عليها الوقوف وصام رمضان بالقدس وعزم على الحجّ والاحرام منه

---

[1] باليان بن بارزان

قلم يمكنه ذلك فسار عنه خامس شوّال نحو دمشق واستناب بالقدس اميرًا اسمه جورديك وهو من المماليك النوريّة ولمّا سار عنه جعل طريقه على الثغور الاسلاميّة كنابلس وطبريّة وصفد وتبنين وبيروت وتعهّد هذه البلاد وامر باحكامها فلمّا كان فى بيروت اتاه بيمند صاحب انطاكيّة واعمالها واجتمع به وخدمه فخلع عليه صلاح الدين وعاد الى بلده فلمّا عاد رحل صلاح الدين الى دمشق فدخلها فى الخامس والعشرين من شوّال وكان يوم دخوله اليها يومًا مشهودًا وفرح الناس به فرحًا عظيمًا لطول غيبته وذهاب العدوّ عن بلاد الاسلام ☆

ذكر وفاة قلج ارسلان

فى هذه السنة منتصف شعبان توفّى الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن سلجوق السلجوقى بمدينة قونية وكان له من البلاد قونية واعمالها واقصرا وسيواس وملطية وغير ذلك من البلاد وكانت مدّة ملكه نحو تسع وعشرين سنة وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدل وافر وغزوات كثيرة الى بلاد الروم فلمّا كبر فرّق بلاده على اولاده فاستضعفوه ولم يلتفتوا اليه وجرى عليه ولده قطب الدين وكان قلج ارسلان قد استناب فى مدينة مُلكه رجلًا يُعرف باختيار الدين حسن فلمّا غلب قطب الدين على الامر قتل حسنًا ثمّ اخذ والده وسار به الى قيساريّة ليأخذها من اخيه الذى سلّمها اليه ابوه فحصرها مدّة فوجد والده قلج ارسلان فرصة فهرب ودخل قيساريّة وحده فلمّا علم قطب الدين ذلك عاد الى قونية واقصرا فملكهما ولم يزل قلج ارسلان يتحوّل من ولد الى ولد وكلّ منهم يتبرّم به حتّى مضى الى ولده غياث الدين كيخسرو صاحب مدينة برغلوا فلمّا رآه فرح به وخدمه وجمع العساكر وسار هو معه الى قونية فملكها وسار الى اقصرا ومعه والده قلج ارسلان فحصرها فرض ابوه فعاد به الى قونية فتوفّى بها ودُفن هناك وبقى ولده غياث الدين فى قونية مالكًا لها حتّى اخذها منه اخوه ركن الدين سليمان على ما نذكره ان شآء الله تعالى وقد حدّثنى بعض مَن اثق اليه من اهل العلم بما يحكيه وكان قد وصل تلك البلاد

بغير هذا ونحن نذكره قال انّ قلج ارسلان قسم بلاده بين اولاده في حياته فسلّم دوقاط الى ابنه ركن الدين سليمان وسلّم قونية الى ولده كيخسروا غياث الدين وسلّم انقرة وهي التي تسمّى انكشوريّة الى ولده محيي الدين وسلّم ملطيّة الى ولده معزّ الدين قيصر شاه وسلّم ابلستين الى ولده مغيث الدين وسلّم قيساريّة الى ولده نور الدين محمود وسلّم سيواس واقصرا الى ولده قطب الدين وسلّم نكسار[1] الى ولد اخر[2] وسلّم اماسيا الى ولد اخيه هذه امّهات البلاد وينضاف الى كلّ بلد من هذه ما يجاورها من البلاد الصغار التي ليست مثل هذه ثمّ انّه ندم على ذلك واراد ان يجمع الجميع لولده الاكبر قطب الدين وخطب له ابنة صلاح الدين يوسف صاحب مصر والشام ليقوى به فلمّا سمع باقي اولاده بذلك امتنعوا عليه وخرجوا عن طاعته وزال حكمه عنهم فسار يتردّد بينهم على سبيل الزيارة فيقيم عند كلّ واحد منهم مدّة وينتقل الى الاخر ثمّ انّه مضى الى ولده كيخسروا صاحب قونية على عادته فخرج اليه ولقيه وقبّل الارض بين يديه وسلّم قونية اليه وتصرّف عن امره فقال لكيخسروا[3] اريد اسير الى ولدي الملعون محمود وهو صاحب قيساريّة وتجيء انت معي لاخذها منه فتجهّز وسار معه وحصر محمودًا بقيساريّة فرض قلج ارسلان وتوفّي عليها فعاد كيخسروا ، وبقي كلّ واحد من الاولاد على البلد التي بيده وكان قطب الدين صاحب اقصرا وسيواس اذا اراد ان يسير من احدى المدينتين الى الاخرى يجعل طريقه على قيساريّة وبها اخوه نور الدين محمود وليست على طريقه انّما كان يقصدها ليظهر المودّة لاخيه والمحبّة له وفي نفسه الغدر فكان اخوه محمود يقصده ويجتمع به ففي بعض المرّات نزل بظاهر البلد على عادته وحضر اخوه محمود عنده غير محتاط فقتله قطب الدين والقى راسه الى اصحابه واراد اخذ البلد فامتنع مَن به من اصحاب اخيه عليه ثمّ انّهم سلّموه اليه على قاعدة استمرّت بينهم وكان عند محمود امير كبير وكان يحذّره من اخيه قطب الدين ويخوّفه فلم يصغ اليه وكان جوادًا كثير الخير والتقدّم في

---

1) 740. Ups.: نكسار 2) 740. Ups.: اخيه 3) كيخسروا

الدولة عند نور الدين فلمّا قتل قطب الدين اخاه قتل حسنًا معه والقاه على الطريق فجآء كلب ياكل من لحمه فثار الناس وقالو لا سمعًا ولا طاعة هذا رجل مسلم وله هاهنا مدرسة وتربة وصدقات دارّة وافعال حسنة لا نتركه تاكله الكلاب فامر به فدُفن في مدرسته ، وبقى اولاد قلج ارسلان على حالهم ثمّ ان قطب [الدين] مرض ومات فسار[1] اخوه ركن الدين سليمان صاحب دوقاط الى سيواس وهي تجاوره فملكها ثمّ سار منها الى قيساريّة واقصرا ثمّ بقى مديدة وسار الى قونية وبها اخوه غياث الدين فحصره بها وملكها ففارقها غياث الدين الى الشام ثمّ الى بلد الروم وكان من امره ما نذكره ان شآء الله تعالى ثمّ سار بعد ذلك الى ركن الدين الى نكسار[2] واماسيا فملكها وسار الى ملطيّة سنة سبع وتسعين وخمسمائة فملكها وفارقها اخوه معزّ الدين الى الملك العادل ابى بكر بن ايّوب وكان هذا معزّ الدين تزوّج ابنة العادل فاقام عنده واجتمع لركن الدين مُلك جميع الاخوة ما عدا انقرة فانّها منيعة لا يوصل اليها فجعل عليها عسكرًا يحصرها صيفًا وشتآء ثلاث سنين فتسلّمها سنة احدى وستّمائة ووضع على اخيه الذى كان بها مَن يقتله اذا فارقها فلمّا سار عنها قُتل وتوفّى ركن الدين فى تلك الايّام ولم يسمع خبر قتل اخيه بل عاجله الله تعالى لقطع رحمه ، وانّما اوردنا هذه الحادثة هاهنا لنُتبع بعضًا بعضًا ولانى لم اعلم تواريخ كلّ حادثة منها لاُثبته فيه ☆

ذكر ملك شهاب الدين اجمير[3] وغيرها من الهند

قد ذكرنا سنة ثلاث وثمانين غزوة شهاب الدين الغورىّ الى بلد الهند وانهزامه وبقى الى الآن وفى نفسه الحقد العظيم على الجند الغوريّة الذين انهزموا وما الزمهم من الهوان فلمّا كان هذه السنة خرج من غزنة وقد جمع عساكره وسار فيها يطلب غزوة الهند الذى هزمه تلك النوبة فلمّا وصل الى برشاوور تقدّم اليه شيخ من الغوريّة كان يدلّ عليه فقال له قد قربنا من العدوّ وما يعلم احد اين يمضى ولا من يقصد ولا ترُدّ على الامرآء سلامًا وهذا لا يجوز فعله فقال له السلطان اعلم

---

[1]) فساق [2]) نكسار [3]) C. P. et 740: اجمير Ups.: جمير

انّى منذ هزمنى هذا الكافر ما نمتُ مع زوجتى ولا غيّرتُ ثياب البياض عنّى وانا سايرٌ الى عدوّى ومعتمد على الله تعالى لا على الغوريّة ولا على غيرهم فان نصرنى الله سبحانه نصر دينه فن فضله وكرمه وان انهزمنا فلا تطلبونى فانا انهزمتُ ولو هلكتُ تحت حوافر الخيل فقال له الشيخ سوف ترى بنى عمّك من الغوريّة ما يفعلون فينبغى ان تكاتبهم وترد سلامهم ففعل ذلك وبقى امرآء الغوريّة يتضرّعون ويقولون سوف ترى ما نفعل وسار الى ان وصل الى موضع المصاف الاوّل وجاره مسيرة اربعة ايّام واخذ عدّة مواضع من بلاد العدوّ فلمّا سمع الهندىّ تجهّز وجمع عساكره وسار يطلب المسلمين فلمّا بقى بين الطايفتيْن مرحلة عاد شهاب الدين ورآءه والكافر فى اعقابه اربع منازل فارسل الكافر اليه يقول له اعطنى يدك انّك تصافقنى فى باب غزنة حتّى اجئ ورآءك والّا فنحن متقابلين ومثلك لا يدخل البلاد شبيه اللصوص ثمّ يخرج هاربًا ما هذا فعل السلاطين فاعاد الجواب انّى لا اقدر على حربك وتمّ على حاله عايدًا الى ان بقى بينه وبين بلاد الاسلام ثلاثة ايّام والكافر فى اثره يتبعه حتّى لحقه قريبًا من مرندة[1] فجرد شهاب الدين من عسكره سبعين الفًا وقال اريد هذه الليلة تدورون حتّى تكونوا ورآء عسكر العدوّ وعند صلاة الصبح تاتون انتم من تلك الناحية وانا من هذه الناحية ففعلوا ذلك وطلع الفجر ومن عادة الهنود انّهم لا يبرحون من مضاجعهم الى ان تطلع الشمس فلمّا اصبحوا حمل عليهم عسكر المسلمين من كلّ جانب وضربت الكوسات فلم يلتفت ملك الهند الى ذلك وقال مَن يقدم علىّ انا هذا والقتل قد كثر فى الهنود والنصر قد ظهر للمسلمين فلمّا راى ملك الهند ذلك احضر فرسًا له سابقًا وركب ليهرب فقال له اعيان اصحابه انّك حلفتَ لنا انّك لا تخلينا وتهرب فنزل عن الفرس وركب الفيل ووقف موضعه والقتال شديد والقتل قد كثر فى اصحابه فانتهى المسلمون اليه واخذوه اسيرًا وحينيئذ عظم القتل والاسر فى الهنود ولم ينج منهم الّا القليل وأُحضر الهندىّ بين يدى شهاب الدين فلم يخدمه فاخذ

---

[1]) C. P.: مرنده 740: مرنده Ups.: مرنده

بعض الحجاب بلحيته وجذبه الى الارض حتّى اصابها جبينه واقعده بين يدى شهاب الدين فقال له شهاب الدين لو استاسرتنى ما كنتَ تفعل بى فقال الكافر قد استعملتُ لك قيدًا من ذهب اقيدك به فقال شهاب الدين بل نحن ما نجعل لك من القدر ما نقيدك وغنم المسلمون من الهنود اموالاً كثيرة وامتعة عظيمة وفى جملة ذلك اربعة عشر فيلاً من جملتها الفيل الذى جرح شهاب[1] الدين فى تلك الوقعة وقال ملك الهند لشهاب الدين ان كنتَ طالب بلاد فما بقى فيها مَن يحفظها وان كنتَ طالب مال فعندى اموال تحمل اجمالك كلّها ، فسار شهاب الدين وهو معه الى الحصن الذى له يعوّل عليه وهو اجمير[2] فاخذه واخذ جميع البلاد التى تقاربه واقطع الجميع البلاد لمملوكه قطب الدين ايبك وعاد الى غزنة وقتل ملك الهند ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قُبض على امير الحاجّ طاشتكين ببغداد وكان نعم الامير عادلاً فى الحاجّ رفيقًا بهم محبًّا لهم له اوراد كثيرة من صلوات وصيام وكان كثير الصدقة لا جرم وقفت اعماله بين يديه فخلص من السجن على ما نذكره ان شآء الله تعالى ، وفيها خرج السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل من الحبس بعد موت قزل ارسلان بن ايلدكز والتقى هو وقتلغ اينانج[3] ابن البهلوان بن ايلدكز فانهزم اينانج[3] الى الرىّ على ما نذكره ان شآء الله تعالى سنة تسعين وخمسمائة ، وفيها فى رجب توفّى الامير السيد علىّ بن المرتضى العلوىّ الحنفىّ مدرّس جامع السلطان ببغداد وفى شعبان منها توفّى ابو علىّ الحسن بن هبة الله ابن البُوقىّ الفقيه الشافعىّ الواسطىّ وكان عالمًا بالمذهب انتفع به الناس ☆

ثم دخلت سنة تسع وتمانين وخمسمائة ، سنة ٥٨٩

ذكر وفاة صلاح الدين وبعض سيرته

فى هذه السنة فى صفر توفّى صلاح الدين يوسف بن ايّوب بن شاذى صاحب مصر والشام والجزيرة وغيرها بدمشق ومولده بتكريت وقد

(1 صلاح (2 حمير (3 قلغ ادماج

ذكرنا سبب انتقالهم منها وملكهم مصر سنة اربع وستين وخمسمائة وكان سبب مرضه ان خرج يتلقى الحاج فعاد ومرض من يومه مرضًا حادًا بقي به ثمانية ايام وتوفي رحمه الله وكان قبل مرضه قد احضر ولده الافضل عليًا واخاه الملك العادل ابا بكر واستشارهما فيما يفعل وقال قد تفرغنا من الفرنج وليس لنا في هذه البلاد شاغل فاي جهة نقصد فاشار عليه اخوه العادل بقصد خلاط لانه كان قد وعده اذا اخذها ان يسلمها اليه واشار ولده الافضل بقصد بلد الروم التي بيد اولاد قلج ارسلان وقال هي اكثر بلادًا وعسكرًا ومالًا واسرع مأخذًا وهي ايضًا طريق الفرنج اذا خرجوا على البر فاذا ملكناها منعناهم من العبور فيها فقال كلاكما مقصر ناقص الهمة بل اقصد انا بلد الروم وقال لاخيه تاخذ انت بعض اولادي وبعض العسكر وتقصد خلاط فاذا فرغت انا من بلد الروم جيت اليكم وندخل منها اذربيجان ونتصل ببلاد العجم فما فيها من يمنع عنها ثم ان لاخيه العادل في المضي الى الكرك وكان له وقال له تجهز واحضر لتسير فلما سار الى الكرك مرض صلاح الدين وتوفي قبل عوده ، وكان رحمه الله كريمًا حليمًا حسن الاخلاق متواضعًا صبورًا على ما يكره كثير التغافل عن ذنوب اصحابه يسمع من احدهم ما يكره ولا يُعلمه بذلك ولا يتغير عليه وبلغني انه كان يومًا جالسًا وعنده جماعة فرمى بعض المماليك بعضًا بسرموز فاخطاته ووصلت الى صلاح الدين فاخطاته ووقعت بالقرب منه فالتفت الى الجهة الاخرى يكلم جليسه ليتغافل عنها ، وطلب مرة الماء فلم يحضر وعاود الطلب في مجلس واحد خمس مرات فلم يحضر فقال يا اصحابنا والله قد قتلني العطش فاحضر الماء فشربه ولم ينكر التواني في احضاره ، وكان مرة قد مرض مرضًا شديدًا ارجف عليه بالموت فلما برئ منه وادخل الحمام كان الماء حارًا فطلب ماء باردًا فاحضره الذي يخدمه فسقط من الماء شئ على الارض فناله منه شئ فتاثر له لضعفه ثم طلب البارد ايضًا فاحضر فلما قاربه سقطت الطاسة على الارض فوقع الماء جميعه عليه فكاد يهلك فلم يزد على ان قال للغلام ان كنت تريد قتلي فعرفني فاعتذر اليه فسكت عنه ، واما كرمه فانه كان كثير البذل لا يقف في شئ يخرجه ويكفي

دليلًا على كرمه انّه لمّا مات لم يخلّف فى خزاينه غير دينار واحد صورىّ واربعين درهمًا ناصريّة وبلغنى انّه اخرج فى مدّة مقامه على عكّا قبالة الفرنج ثمانية عشر الف دابّة من فرس وبغل سوى الجمال وامّا العين والثياب والسلاح فانّه لا يدخل تحت الحصر ولمّا انقرضت الدولة العلويّة بمصر اخذ من ذخايرهم من ساير الانواع ما يفوت الاحصآء ففرّقه جميعه ، وامّا تواضعه فانّه كان ظاهرًا لم يتكبّر على احد من اصحابه وكان يعيب الملوك المتكبّرين بذلك وكان يحضر عنده الفقرآء والصوفيّة ويعمل لهم السماع فاذا قام احدهم لرقص او سماع يقوم له فلا يقعد حتّى يفرغ الفقير ولم يلبس شيئًا ممّا ينكره الشرع وكان عنده علم ومعرفة وسمع الحديث واسمعه وبالجملة فكان نادرًا فى عسكره كثير المحاسن والافعال الجميلة عظيم الجهاد فى الكفّار وفتوحه تدلّ على ذلك وخلّف سبعة عشر ولدًا ذكرًا ۞

ذكر حال اهله واولاده بعده

لمّا مات صلاح الدين بدمشق كان معه بها ولده الاكبر الافضل نور الدين علىّ وكان قد حلّف له العساكر جميعها غير مرّة فى حياته فلمّا مات ملك دمشق والساحل والبيت المقدّس وبعلبك وصرخد وبصرى وبانياس وهونين وتبنين[1] وجميع الاعمال الى الداروم وكان ولده الملك العزيز عثمان بمصر فاستولى عليها واستقرّ مُلكه بها وكان ولده الظاهر غازى بحلب فاستولى عليها وعلى جميع اعمالها مثل حارم وتلّ باشر واعزاز وبرزية[2] ودرب ساك ومنبج وغير ذلك وكان بحماة محمود بن تقى الدين عمّه فاطاعه وصار معه وكان بحمص شيركوه بن محمّد بن شيركوه فاطاع الملك الافضل وكان الملك العادل بالكرك قد سار اليه كما ذكرنا فامتنع فيه ولم يحضر عند احد من اولاد اخيه فارسل اليه الملك الافضل يستدعيه ليحضر عنده فوعده ولم يفعل فاعاد مراسلته وخوّفه من الملك العزيز صاحب مصر ومن اتابك عزّ الدين صاحب الموصل فانّه كان قد سار عنها الى بلاد العادل الجزريّة على ما نذكره ويقول له ان حضرتَ جهّزتُ العساكر وسرتُ الى بلادك حفظتُها وان اقمت قَصَدَك اخى الملك

---

[1] تونين [2] مرزبه

العزيز لما بينكما من العداوة واذا ملك عزّ الدين بلادك فليس له دون الشام مانع وقال لرسوله ان حضر معك والّا فقُلْ له قد امرني ان سرتَ اليه بدمشق عُدْتُ معك وان لم تفعل اسير الى الملك العزيز احالفه على ما يختار فلمّا حضر الرسول عنده وعده بالمجيء فلمّا راى ان ليس معه منه شيء غير الوعد أبلغه ما قيل له في معنى موافقة العزيز فحينيئذ سار الى دمشق وجهّز الافضل معه عسكرًا من عنده وارسل الى صاحب حمص وصاحب حماة والى اخيه الملك الظاهر بحلب يحثّهم على انفاذ العساكر مع العادل الى البلاد الجزريّة ليمنعها من صاحب الموصل ويخوّفهم ان هم لم يفعلوا وممّا قال لاخيه الظاهر قد عرفتَ محبة اهل الشام لبيت اتابك فوالله ليُبَدّلن ملك عزّ الدين حرّان ليفركنّ اهل حلب عليك ولتخرجنّ منها وانت لا تعقل وكذلك يفعل في اهل دمشق فاتّفقت كلمتهم على تسيير العساكر معه فجهّزوا عساكرهم وسيّروها الى العادل وقد عبر الفرات فعسكر عساكرهم بنواحي الرها بمرج الريحان وسنذكر ما كان منه ان شاء الله تعالى ☆

ذكر مسير اتابك عزّ الدين الى بلاد العادل وعوده بسبب مرضه

لمّا بلغ اتابك عزّ الدين مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل وفاة صلاح الدين جمع اهل الراى من اصحابه وفيهم مجاهد الدين قايماز كبير دولته والمقدّم على كلّ مَن فيها وهو نايبه فيها واستشارهم فيما يفعل فسكتوا فقال له بعضهم وهو اخي مجد الدين ابو السعادات المبارك انا ارى انّك تخرج مسرعًا جريدة فيمن خفّ من اصحابك وحلقتك الخاصّة وتتقدّم الى البلقين باللحاق بك وتعطي مَن هو محتاج الى شيء ما يتجهّز به ويلحق بك الى نصيبين وتكاتب اصحاب الاطراف مثل مظفّر الدين ابن زين الدين صاحب اربل وسنجر شاه ابن اخيك صاحب جزيرة ابن عمر واخاك عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين تعرّفهم انّك قد سرتَ وتطلب منهم المساعدة وتبذل لهم اليمين على ما يلتمسونه فحتى راوك قد سرتَ خافوك وان اجابك اخوك صاحب سنجار ونصيبين الى الموافقة والّا بدات

(١ الظاهر

بنصيبين اخذتها وتركتَ فيها من يحفظها ثمّ سرتَ نحو الخابور وهو له ايضًا فاقطعه[1] وتركتَ عسكره مقابل اخيك يمنعه من الحركة ان ارادها او قصدتَ الرقّة فلا تمنع نفسها وتاتى حرّان وانزها فليس فيها مَن يحفظهما لا صاحبٌ ولا عسكرٌ ولا ذخيرة فانّ العادل اخذها من ابن تقى الدين ولم يقم فيهما ليصلح حالهما وكان القوم يتكلّمون على قوّتهم فلم يظنّوا هذا الحادث فاذا فرغتَ من ذلك الطرف عُدْتَ الى مَن امتنع من طاعتك فقاتلته وليس ورآءك ما تخاف عليه فانّ بلدك عظيم لا يبالى بكلّ مَن ورآءك ، فقال مجاهد الدين المصلحة انّنا نكاتب اصحاب الاطراف ونأخذ رأيهم فى الحركة ونستميلهم فقال له اخى ان اشاروا بترك الحركة تقبلون منهم قال لا قال فانّهم لا يشيرون الّا بتركها لانّهم لا يرون ان يقوى هذا السلطان خوفًا منه وكانّى بهم يغالطونكم مهما البلاد الجزريّة فارغة من صاحب وعسكر فاذا جآء اليها مَن يحفظها جاهروكم بالعداوة ، ولم يمكنه اكثر من هذا القول خوفًا من مجاهد الدين حيث راى ميله الى ما تكلّم به فانفصلوا على ان يكاتبوا اصحاب الاطراف فكاتبوهم فكلّ اشار بترك الحركة الى ان ينظر ما يكون من اولاد صلاح الدين وعمّهم فتثبّط ، ثمّ انّ مجاهد الدين كرّر المراسلات الى عماد الدين صاحب سنجار يعده ويستميله فبينما هم على ذلك اذ جآءهم كتاب الملك العادل من المناخ بالقرب من دمشق وقد سار عن دمشق الى بلاده يذكر فيه موت اخيه وانّ البلاد قد استقرّت لولده الملك الافضل والناس متّفقون على طاعته وانّه هو المدبّر لدولة الافضل وقد سيّره فى عسكر جمّ كثير العدد لقصد ماردين لمّا بلغه انّ صاحبها تعرّض الى بعض القرى التى له وذكر من هذا النحو شيأً كثيرًا فظنّوه حقًّا واما قوله لا ريب فيه ففتروا عن الحركة وذلك الراى فسيّروا الجواسيس فاتتهم الاخبار بانّه فى ظاهر حرّان من نحو مايّفى خيمة لا غير فعادوا تحرّكوا فالى ان تقرّرت القواعد بينهم وبين صاحب سنجار واقبلت العساكر الشامّية التى سيّرها الافضل وغيره الى العادل فامتنع بها وسار اتابك عزّ الدين عن الموصل

[1]) 740: فاقطعنه

Digitized by Google

الى نصيبين واجتمع هو واخوه عماد الدين بها وساروا على سنجار نحو الرها وكان العادل قد عسكر قريبًا منها بمرج الريحان فخافهم خوفًا عظيمًا فلمّا وصل اتابك عزّ الدين الى تلّ موزن[1] مرض بالاسهال فاقام عدّة ايّام فضعُفت من الحركة وكثر مجيء الدم منه فخاف الهلاك فترك العساكر مع اخيه عماد الدين وعاد جريدة فى مائتى فارس ومعه مجاهد الدين واخى مجد الدين فلمّا وصل الى دنيسر استولى عليه الضعف فاحضر اخى وكتب وصيّة ثمّ سار فدخل الموصل وهو مريض اوّل رجب ☆

ذكر وفاة اتابك عزّ الدين وشئ من سيرته

فى هذه السنة توفّى اتابك عزّ الدين مسعود بن مودود بن زنكى بن اق سنقر صاحب الموصل بالموصل وقد ذكرنا عوده اليها مريضًا فبقى فى مرضه الى التاسع والعشرين من شعبان فتوفّى رحمه الله ودُفن بالمدرسة التى انشاها مقابل دار المملكة وكان قد بقى ما يزيد على عشرة ايّام لا يتكلّم الّا بالشهادتين وتلاوة القران واذا تكلّم بغيرها استغفر الله ثمّ عاد الى ما كان عليه فرُزق خاتمة خير رضى الله عنه وكان رحمه الله خيّر الطبع كثير الخير والاحسان لا سيّما الى شيوخ قد خدموا اباه فانّه كان يتعهّدهم بالبرّ والاحسان والصلة والاكرام ويرجع الى قولهم ويزور الصالحين ويقرّبهم ويشفعهم وكان حليمًا قليل المعاقبة كثير الحيآء لم يكلّم جليسًا له الّا وهو مطرق وما قال فى شئ يُسئله لاحيآء وكرم طبع وكان قد حجّ ولبس بمكّة حرسها الله خرقة التصوّف وكان يلبس تلك الخرقة كلّ ليلة ويخرج الى مسجد قد بناه فى داره ويصلّى فيه نحو ثلث الليل وكان رقيق القلب شفيقًا على الرعيّة بلغنى عنه انّه قال بعض الايّام انّى سهرت الليلة كثيرًا وسبب ذلك انى سمعتُ صوت نائحة فظننتُ انّ ولد فلان قد مات وكان قد سمع انّه مريض قال فضاق صدرى وقُمْتُ من فراشى ادور فى السطح فلمّا طال علىّ الامرُ ارسلتُ خادمًا الى الجانداريّة فارسل منهم واحدًا يستعلم الخبر فعاد وذكر انسانًا لا اعرفه فسكن بعض ما عندى فنمتُ ولم يكن الرجل الذى ظنّ انّ ابنه مات

---

[1]) مودن

من اصحابه انّما كان من رعيّته ، كان ينبغى ان تتاخّر وفاته وانّما قدّمناها لتتتبع اخباره بعضها بعضًا ۞

ذكر قتل بكتمر صاحب خلاط

فى هذه السنة اوّل جمادى الاولى قُتل سيف الدين بكتمر صاحب خلاط وكان بين قتله وموت صلاح الدين شهران فانّه اسرف فى اظهار الشماتة بموت صلاح الدين فلم يمهله الله تعالى ولمّا بلغه موت صلاح الدين فرح فرحًا كثيرًا وعمل ختنًا جلس عليه ولقّب نفسه بالسلطان المعظم صلاح الدين وكان لقبه سيف الدين فغيّره وسمّى نفسه عبد العزيز وظهر منه اختلال وتخليط وتجهّز ليقصد ميّافارقين يحصرها فادركته منيته ، وكان سبب قتله انّ هزار دينارى وهو ايضًا من مماليك شاه ارمن ظهير الدين كان قد قوى وكثر جمعه وتزوّج ابنة بكتمر فطمع فى الملك فوضع عليه مَن قتله فلمّا قُتل ملك بعده هزار دينارى بلاد خلاط واعمالها ، وكان بكتمر دينًا خيّرًا صالحًا كثير الخير والصلاح والصدقة محبًّا لاهل الدين والصوفيّة كثير الاحسان اليهم قريبًا منهم ومن ساير رعيّته محبوبًا اليهم عادلاً فيهم وكان جوادًا شجاعًا عادلاً فى رعيّته حسن السيرة فيهم ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة شتّى شهاب الدين ملك غزنة فى برشاوور[1] وجهّز مملوكه ايبك فى عساكر كثيرة فادخله بلاد الهند يغنم ويسبى ويفتح من البلاد ما يمكنه فدخلها وعاد خرج هو وعساكره سالمًا قد ملؤوا ايديهم من الغنايم ، وفيها فى رمضان توفّى سلطان شاه صاحب مرو وغيرها من خراسان وملك اخوه علآء الدين تكش بلاده وسنذكره سنة تسعين ان شآء الله ، وفيها امر الخليفة الناصر لدين الله بعمارة خزانة الكتب بالمدرسة النظاميّة ببغداد ونقل اليها من الكتب النفيسة اُلُوفًا لا يوجد مثلها ، وفيها فى ربيع الاوّل فُرغ من عمارة الرباط الذى امر بانشآيه الخليفة ايضًا بالحريم الظاهرىّ غربىّ بغداد على دجلة وهو من احسن الربط

---

[1] شاوور (!

ونقل اليه كتبًا كثيرة من احسن الكتب ، وفيها ملك الخليفة قلعة من بلاد خوزستان وسبب ذلك انّ صاحبها سوسيان[1] بن شملة جعل فيها دزدارًا فاساء السيرة مع جندها فغدر به بعضهم فقتله ونادوا بشعار الخليفة فارسل اليها وملكها ، وفيها انقضّ كوكبان عظيمان وسمع صوت هدّة عظيمة وذلك بعد طلوع الفجر وغلب ضوؤها القمر وضوء النهار ، وفيها مات الامير داود بن عيسى بن محمّد بن ابى هاشم امير مكّة وما زالت مكّة تكون له تارة ولاخيه مكثر تارة الى ان مات ؛

سنة ٥٩٠ **ثم دخلت سنة تسعين وخمسمائة ،**

ذكر الحرب بين شهاب الدين وملك بنارس الهندىّ

كان شهاب الدين الغورىّ ملك غزنة قد جهّز مملوكه قطب الدين وسيّره الى بلد الهند للغزاة فدخلها فقتل فيها وسبى وغنم وعاد فلمّا سمع به ملك بنارس وهو اكبر ملك فى الهند ولايته من حدّ الصين الى بلاد ملاوا طولاً ومن البحر الى مسيرة عشرة ايّام من لهاوور[2] عرضًا وهو ملك عظيم فعندها جمع جيوشه وحشرها وسار يطلب بلاد الاسلام ودخلت سنة تسعين فسار شهاب الدين الغورىّ من غزنة بعساكره نحوه فالتقى العسكران على ماخون وهو نهر كبير يقارب دجلة بالموصل وكان مع الهندىّ سبع مائة فيل ومن العسكر على ما قيل الف الف رجل ومن جملة عسكر عدّة امرآء مسلمين كانوا فى تلك البلاد آبٌ عن جدّ من ايّام السلطان محمود بن سبكتكين يلازمون شريعة الاسلام ويواظبون على الصلوات وافعال الخير فلمّا التقى المسلمون والهنود اقتتلوا فصبر الكفّار لكثرتهم وصبر المسلمون لشجاعتهم فانهزم الكفّار ونُصر المسلمون وكثر القتل فى الهنود حتّى امتلات الارض وجافت وكانوا لا ياخذون الّا الصبيان والجوارى واما الرجال فيقتلون واخذ منهم تسعين فيلًا وباقى الفيلة قُتل بعضها وانهزم بعضها وقتل ملك الهند ولم يعرفه احدٌ الّا انّه كانت اسنانه قد ضعفت اصولُها فامسكوها بشريط الذهب فلذلك عرفوه فلمّا انهزم الهنود دخل شهاب الدين بلاد بنارس وحمل من خزاينها

---

[1]) Cod. 740. Ups.: سوسان [2]) لهاوون

على الف واربع مائة جمل وعاد الى غزنة ومعه الفيلة التى اخذها من جملتها فيلٌ ابيض حدّثنى مَن رءاه لمّا أُخذت الفيلة وقدمت الى شهاب الدين وأُمرت بالخدمة فخدمت جميعها الّا الابيض فانّه لم يخدم ولا يعجب احدٌ من قولنا الفيلة تخدم فانّها تفهم ما يُقال لها ولقد شاهدتُ فيلاً بالموصل وفيّاله يحدثه فيفعل ما يقول له ☆

ذكر قتل السلطان طغرل ومُلك خوارزم شاه الرىّ ووفاة اخيه سلطان شاه

قد ذكرنا سنة ثمان وثمانين خروج السلطان طغرل بن الب ارسلان بن طغرل بن محمّد بن ملكشاه بن الب ارسلان السلجقىّ من الحبس ومُلكه همذان وغيرها وكان قد جرى بينه وبين قتلغ اينانج[1] بن البهلوان صاحب البلاد حرب انهزم فيها قتلغ اينانج[2] وتحصّن بالرىّ وسار طغرل الى همذان وارسل قتلغ اينانج[2] الى خوارزم شاه علآء الدين تكش يستنجده فسار اليه فى سنة ثمان وثمانين فلمّا تقاربا ندم قتلغ اينانج[2] على استدعآء خوارزم شاه وخاف على نفسه فصى من بين يديه وتحصّن فى قلعة له فوصل خوارزم شاه الى الرىّ وملكها وحصر قلعة طبرك[3] ففتحها فى يومَيْن وراسله طغرل واصطلحا وبقيت الرىّ فى يد خوارزم شاه فرتّب فيها عسكرًا يحفظها وعاد الى خوارزم لانّه بلغه انّ اخاه سلطان [شاه] قد قصد خوارزم فجدّ فى السير خوفًا عليها فاتاه الخبر وهو فى الطريق انّ اهل خوارزم منعوا سلطان شاه عنها ولم يقدر على القرب منها وعاد عنها خايبًا فشتّى خوارزم شاه بخوارزم فلمّا انقضى الشتآء سار الى مرو لقصد اخيه سنة تسع وثمانين فتردّدت الرسل بينهما فى الصلح فبينما هم فى تقرير الصلح واذ قد ورد على خوارزم شاه رسول من مستحفظ قلعة سرخس لاخيه سلطان شاه يدعوه ليسلّم اليه القلعة لانّه قد استوحش من صاحبه سلطان شاه فسار خوارزم شاه اليه مجدًّا فتسلّم القلعة وصار معه وبلغ ذلك سلطان شاه ففتّ ذلك فى عضده وتزايد كمده فمات سلخ رمضان سنة تسع وثمانين وخمسمائة فلمّا سمع خوارزم شاه بموته سار من ساعته الى مرو فتسلّمها وتسلّم مملكة اخيه سلطان شاه

---

[1]) ايناج [2]) قلج ايناج [3]) C. P. Ups.: طغرك

جميعها وخزاينه وارسل الى ابنه علاء الدين محمّد وكان يلقب حينيذ قطب الدين وهو بخوارزم فاحضره فولّاه نيسابور وولّى ابنه الكبير ملكشاه مروَ وذلك فى ذى الحجّة سنة تسع وثمانين ، فلمّا دخلت سنة تسعين وخمسمائة قصد السلطان طغرل بلد الرىّ فاغار على مَن به من اصحاب خوارزم شاه [ففرّ منه قتلغ اينانج بن البلوان وارسل الى خوارزم شاه][1] يعتذر ويسال اتجاده مرّة ثانية ووافق ذلك وصول رسول الخليفة الى خوارزم شاه يشكوا من طغرل ويطلب منه قصد بلاده ومعه منشورٌ باقطاعه البلاد فسار من نيسابور الى الرىّ فتلقاه قتلغ اينانج[2] ومَن معه بالطاعة وساروا معه فلمّا سمع السلطان طغرل بوصوله كانت عساكره متفرّقة فلم يقف ليجمعها بل سار اليه فيمن معه فقيل له انّ الذى يفعله ليس برأى والمصلحة ان تجمع العساكر فلم يقبل وكان فيه شجاعة بل تمّم مسيره فالتقى العسكران بالقرب من الرى فحمل طغرل بنفسه فى وسط عسكر خوارزم شاه فاحاطوا به والقوه عن فرسه وقتلوه فى الرابع العشرين من شهر ربيع الاوّل وحمل راسه الى خوارزم شاه فسيّره من يومه الى بغداد فنُصب بها بباب النوبى[3] عدّة ايّام وسار خوارزم شاه الى همذان وملك تلك البلاد جميعها ، وكان الخليفة الناصر لدين الله قد سيّر عسكرًا الى نجدة خوارزم شاه وسيّر له الخلع السلطانيّة مع وزيره مؤيّد الدين ابن القصّاب فنزل على فرسخ من همذان فارسل اليه خوارزم شاه يطلبه اليه فقال مؤيّد الدين ينبغى ان تحضر انت وتلبس الخلعة من خيمتى وتردّدت الرسل بينهما فى ذلك فقيل لخوارزم شاه انّها حيلة عليك حتّى تحضر عنده ويقبض عليك فدخل خوارزم شاه اليه قصدًا لاخذه فاندفع بين يديه الى بعض الجبال فامتنع به فرجع خوارزم شاه الى همذان ولمّا ملك همذان وتلك البلاد سلّمها الى قتلغ اينانج[4] واقطع كثيرًا منها لمماليكه وجعل المقدّم عليهم مياجق[5] وعاد الى خوارزم ۞

ذكر مسير وزير الخليفة الى خوزستان ومُلكها

فى هذه السنة فى شعبان خلع الخليفة الناصر لدين الله على النايب

---

1) C. P. مماحف 5) قبلغ امايج 2) النوبى 3) بلمع بمايخ 4)

فى الوزارة مؤيّد الدين ابى عبد الله محمّد بن علىّ المعروف بابن القصّاب خلع الوزارة وحُكّم فى الولاية وبرز فى رمضان وسار الى بلاد خوزستان وولى الاعمال بها وصار له فيها اصحاب واصدقآء ومعارف وعرف البلاد ومن اىّ وجه يمكن الدخول اليها والاستيلآء عليها فلمّا ولى ببغداد نيابة الوزارة اشار على الخليفة بان يرسله فى عسكر اليها ليملكها له وكان عزمه انّه اذا ملك البلاد واستقرّ فيها اقام مظهرًا للطاعة مستقلًّا بالحكم فيها ليامن على نفسه فاتّفق انّ صاحبها ابن شملة توفّى واختلف اولاده بعده فراسل بعضهم مؤيّدَ الدين يستنجده لما بينهم من الصحبة القديمة فقوى الطمع فى البلاد فجُهّزت العساكر وسيّرت معه الى خوزستان فوصلها سنة احدى وتسعين وجرى بينه وبين اصحاب البلاد مراسلات ومحاربة عجزوا عنها وملك مدينة تستر فى المحرّم وملك غيرها من البلاد وملك القلاع منها قلعة الناظر وقلعة كاكرد وقلعة الاموج وغيرها من الحصون والقلاع وانفذ بنى شملة اصحاب بلاد خوزستان الى بغداد فوصلوا فى ربيع الاوّل ۞

ذكر حصر العزيز مدينة دمشق

فى هذه السنة وصل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين وهو صاحب مصر الى مدينه دمشق فحصرها وبها اخوه الاكبر الملك الافضل علىّ بن صلاح الدين وكنتُ حينئذ بدمشق فنزل بنواحى ميدان الحصى فارسل الافضل الى عمّه الملك العادل ابى بكر بن ايّوب وهو صاحب الديار الجزريّة يستنجده وكان الافضل غاية الواثق به والمعتمد عليه وقد سبق ما يدلّ على ذلك فسار الملك العادل الى دمشق هو والملك الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب وناصر الدين محمّد بن تقى الدين صاحب حماة واسد الدين شيركوه بن محمّد بن شيركوه صاحب حمص وعسكر الموصل وغيرها كلّ هولآء اجتمعوا بدمشق واتّفقوا على حفظها علمًا منهم انّ العزيز ان ملكها اخذ بلادهم فلمّا راى العزيز اجتماعهم علم انّه لا قدرة له على البلد فتردّدت الرسل حينئذ فى الصلح فاستقرّت القاعدة على انّ يكون البيت المقدّس وما جاوره من اعمال فلسطين للعزيز وتبقى دمشق وطبريّة واعمالها الغور للافضل على ما كانت عليه وان يعطى الافضل اخاه الملك الظاهر جبلة ولاذقيّة وان يكون للعادل بمصر اقطاعه

الاوّل واتّفقوا على ذلك وعاد العزيز الى مصر ورجع كلّ واحد من الملوك الى بلده ۞

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كانت زلزلة في ربيع الاوّل بالجزيرة والعراق وكثير من البلاد سقطت منها الجبّانة التي عند مشهد امير المومنين علىّ عم، وفيها في جمادى الاخرة اجتمعت زعب وغيرها من العرب وقصدوا مدينة النبىّ صلعم فخرج اليهم هاشم بن قاسم اخو امير المدينة فقاتلهم فقُتل هاشم وكان امير المدينة قد توجّه الى الشام فلهذا طمعت العرب فيه، وفيها توفّى القاضى ابو الحسن احمد بن محمّد بن عبد الصمد الطَّرَسُوسىّ الحلبىّ بها في شعبان وكان من عباد الله الصالحين رحمه الله تعالى ۞

سنة ٥٩١ **ثم دخلت سنة احدى وتسعين وخمسمائة**

ذكر مُلك وزير الخليفة همذان وغيرها من بلاد العجم

قد ذكرنا مُلك مؤيّد الدين بن القصّاب بلاد خوزستان فلمّا ملكها سار منها الى ميسان[1] من اعمال خوزستان فوصل اليه قتلغ اينانج[2] بن البهلوان صاحب البلاد وقد تقدّم ذكر تغلُّب خوارزم شاه عليها ومعه جماعة من الامرآء فاكرمه وزير الخليفة واحسن اليه وكان سبب مجيئه انّه جرى بينه وبين عسكر خوارزم شاه ومقدّمهم مياجق[3] مصاف عند زنجان[4] واقتتلوا فانهزم قتلغ اينانج[2] عسكره وقصد عسكر الخليفة ملتجيًا الى مؤيّد الدين الوزير فاعطاه الوزير الخيل والخيام وغير ذلك ممّا يحتاج اليه وخلع عليه وعلى مَن معه من الامرآء ورحلوا الى كرمانشاه[5] ورحل منها الى همذان وكان بها ولد خوارزم شاه ومياجق[6] والعسكر الذى معهما فلمّا قاربهم عسكر الخليفة فارقها الخوارزميّون وتوجّهوا الى الرىّ واستولى الوزير على همذان في شوّال من هذه السنة ثمّ رحل هو وقتلغ اينانج[7] خلفهم فاستولوا على كلّ بلد جازوا به منها خرّقان ومزدغان وساوة وآوة وساروا الى الرىّ ففارقها الخوارزميّون الى خُوار[8] الرىّ فسيّر الوزير خلفهم عسكرًا ففارقها الخوارزميّون الى دامغان وبسطام وجرجان فعاد عسكر

---

1) C. P. Ups.: ديسار
2) قبلغ نمالغ
3) مياحق
4) Cfr. J. As. 1847, I, 170. لجان
5) كرهاشاهان
6) ومياحق
7) قبلغ امالغ
8) جوار

للخليفة الى الرىّ فاقاموا بها فاتّفق قتلغ اينانج ومَن معه من الامرآء على الخلاف على الوزير وعسكر الخليفة لانّهم راوا البلاد قد خلت من عسكر خوارزم شاه فطمعوا فيها فدخلوا الرىّ فحصرها وزير الخليفة ففارقها قتلغ اينانج وملكها الوزير ونهبها العسكر فامر الوزير بالندآء بالكفّ عن النهب وسار قتلغ اينانج ومَن معه من الامرآء الى مدينة آوة وبها شحنة الوزير فنعهم من دخولها فساروا عنها ورحل الوزير فى اثرهم نحو همذان فبلغه وهو فى الطريق انّ قتلغ اينانج قد اجتمع معه عسكر وقصد مدينة كرج وقد نزل على دربند هناك فطلبهم الوزير فلمّا قاربهم التقوا واقتتلوا قتالاً شديدًا فانهزم قتلغ اينانج ونجا بنفسه ورحل الوزير من موضع المصاف الى همذان فنزل بظاهرها فاقام نحو ثلاثة اشهر فوصله رسول خوارزم شاه تكش وكان قد قصدهم منكرًا اخذة البلاد من عسكره ويطلب اعادتها وتقرير قواعدها والصلح فلم يجب الوزير الى ذلك فسار خوارزم شاه مجدًّا الى همذان وكان الوزير مؤيّد الدين [ابن] القصّاب قد توفّى فى اوايل شعبان فوقع بينه وبين عسكر الخليفة مصاف نصف شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمايّة فقُتل بينهم كثير من العسكريين وانهزم عسكر الخليفة وغنم الخوارزميّون منهم شيأً كثيرًا وملك خوارزم شاه همذان ونبش الوزير من قبره وقطع راسه وسيّره الى خوارزم واظهروا انّه قتله فى المعركة ثمّ انّ خوارزم شاه اتاه من خراسان ما اوجب ان يعود اليها فترك البلاد وعاد الى خراسان ☆

ذكر غزو [ابن] عبد المؤمن الفرنج بالاندلس

فى هذه السنة فى شعبان غزا ابو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب والاندلس بلاد الفرنج بالاندلس وسبب ذلك انّ الفنش ملك الفرنج بها ومعه ملكة مدينة طليطلة كتب الى يعقوب كتابًا نسختة باسمك اللهمّ فاطر السموات والارض امّا بعد ايّها الامير فانّه لا يخفى على كلّ ذى عقل لازب ولا ذى لبّ ثاقب انّك امير الملّة الحنيفيّة كما انا امير الملّة النصرانيّة وانّك مَن لا يخفى عليه ما هم عليه روسآء الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعيّة واشتمالهم على الراحات وانا اسومهم الخسف

واخلى الديار واسبى الذرارى وامثل بالكهول واقتل الشباب ولا عذر لك فى التخلّف عن نصرتهم وقد امكنتك يد القدرة وانتم تعتقدون انّ الله فرض عليكم قتال عشرة منّا بواحد منكم والأن خفّف الله عنكم وعلم انّ فيكم ضعفًا فقد فرض عليكم قتال اثنين منّا بواحد منكم ونحن الأن نقاتل عددًا منكم بواحد منّا ولا تقدرون دفاعًا ولا تستطيعون امتناعًا ثمّ حُكى لى عنك انّك اخذتَ فى الاحتفال واشرفتَ على ربوة القتال وتمطل نفسك عامًا بعد عام تقدّم رجلًا وتؤخّر اخرى ولا ادرى لجبن ابطأ بك ام التكذيب بما انزل عليك ثمّ حُكى لى عنك انّك لا تجد سبيلًا للحرب لعلّك ما يسوغ لك التقحّم فيها فها انا اقول لك ما فيه واعتذر عنك ولك ان توفينى بالعهود والمواثيق والأيمان ان تتوجّه بجملة مَن عندك فى المراكب والشوانى واجوز اليك بجملتى وابارزك فى اعزّ الاماكن عندك فان كانت لك فغنيمة عظيمة جآءت اليك وهدية مثلت بين يديك وان كانت لى كانت يدى العليا عليك واستحققتُ امارة الملّتين والتقدّم على الفئتين والله يسهّل الارادة ويوفّق السعادة بمنّه لا ربّ غيره ولا خيرَ الّا خيره ، فلمّا وصل كتابه وقرأه يعقوب كتب فى اعلاه هذه الاية ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَاتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ [1] واعاده اليه وجمع العساكر العظيمة من المسلمين وعبر المجاز الى الاندلس ، وقيل كان سبب عبوره الى الاندلس انّ يعقوب لمّا قاتل الفرنج سنة ستّ وثمانين وصالحهم بقى طايفة من الفرنج لم ترض الصلح كما ذكرناه فلمّا كان الأن جمعت تلك الطايفة جمعًا من الفرنج وخرجوا الى بلاد الاسلام فقتلوا وسبوا وغنموا واسروا وعاثوا فيها عيثًا شديدًا فانتهى ذلك الى يعقوب فجمع العساكر وعبر المجاز الى الاندلس فى جيش يضيق عنه الفضآء ، فسمعت الفرنج بذلك فجمعت قاصيهم ودانيهم واقبلوا اليه مجدّين على قتاله واثقين بالظفر لكثرتهم فالتقوا تاسع شعبان شمالىّ قرطبة عند قلعة رباح [2] بمكان يعرف بمرج الحديد فاقتتلوا قتالًا شديدًا فكانت الدايرة اولًا على المسلمين ثمّ عادت على الفرنج فانهزموا اقبح هزيمة

---

[1]) Cor. 27, 37.

[2]) رداح

وانتصر المسلمون عليهم وَجَعَلَ ٱللَّهُ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا هِيَ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَتُهُ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[1] وكان عدد من قُتل من الفرنج مايَة الف وستّة واربعين الفًا وأُسر ثلاثة عشر الفًا وغنم المسلمون منهم شيًّا عظيمًا فمن الخيام مايَة الف وثلاثة واربعون الفًا ومن الخيل ستّة واربعون الفًا ومن البغال مايَة الف ومن الحمير مايَة الف وكان يعقوب قد نادى فى عسكره من غنم شيًّا فهو له سوى السلاح واحصى ما حُمل اليه منه فكان زيادة على سبعين الف لبس وقُتل من المسلمين نحو عشرين الفًا ولمّا انهزم الفرنج اتّبعهم ابو يوسف فرماهم قد اخذوا قلعة رباح وساروا عنها من الرعب والخوف لملكها وجعل فيها واليًا وجندًا يحفظونها وعاد الى مدينة اشبيليّة ، واما الفنش فانّه لمّا انهزم حلق راسه ونكس صليبه وركب حمارًا واقسم ان لا يركب فرسًا ولا بغلًا حتّى تُنصر النصرانيّة فجمع جموعًا عظيمة وبلغ الخبر بذلك الى يعقوب فارسل الى بلاد الغرب مرّاكش وغيرها يستنفر الناس من غير اكراه فاتاه من المتطوّعة والمرتزقين جمع عظيم فالتقوا فى ربيع الاوّل سنة اثنتين وتسعين وخمسمايَة فانهزم الفرنج هزيمة قبيحة وغنم المسلمون ما معهم من الاموال والسلاح والدوابّ وغيرها وتوجّه الى مدينة طليطلة فحصرها وقاتلها قتالًا شديدًا وقطع اشجارها وشنّ الغارة على ما حولها من البلاد وفتح فيها عدّة حصون فقتل رجالها وسبى حريمها وخرّب دورها وهدم اسوارها فضعفت النصرانيّة حينيئذ وعظم امر الاسلام بالاندلس وعاد يعقوب الى اشبيليّة فاقام بها فلمّا دخلت سنة ثلاث وتسعين سار عنها الى بلاد الفرنج وذلّوا واجتمع ملوكهم فارسلوا يطلبون الصلح فاجابهم اليه بعد ان كان عازمًا على الامتناع مُريد الملازمة للجهاد الى ان يفرغ منهم فاتاه خبر علىّ بن اسحق الملثم الميورقىّ انّه فعل بافريقية ما نذكره من الافاعيل الشنيعة فترك عزمه وصالحهم مدّة خمس سنين وعاد الى مرّاكش اخر سنة ثلاث وتسعين وخمسمايَة ۞

ذكر فعلة الملثم بافريقية

لمّا عبر ابو يوسف يعقوب صاحب المغرب الى الاندلس كما ذكرنا

---

[1]) Cor. 9, 40.

واقام مجاهدًا ثلاث سنين انقطعت اخباره عن افريقية فقوى طمع علىّ بن اسحق الملثم الميورقىّ وكان بالبرّيّة مع العرب فعاود قصد افريقية فانبثّ جنوده فى البلاد فخربوها واكثروا الفساد فيها فحيثما اثار تلك البلاد وتغيّرت وصارت خالية من الانيس خاوية على عروشها واراد المسير الى بجاية ومحاصرتها لاشتغال يعقوب بالجهاد واظهر انّه اذا استولى على بجاية سار الى المغرب فوصل الخبر الى يعقوب بذلك فصالح الفرنج على ما ذكرناه وعاد الى مرّاكش عازمًا على قصده واخراجه من البلاد كما فعله سنة احدى وثمانين وخمسمائة وقد ذكرناه ☆

ذكر مُلك عسكر الخليفة اصفهان

فى هذه السنة جهّز الخليفة الناصر لدين الله جيشًا وسيّره الى اصفهان ومقدّمهم سيف الدين طغرل مقطع بلد اللحف من العراق وكان باصفهان عسكر لخوارزم شاه مع ولده وكان اهل اصفهان يكرهونهم فكاتب صدر الدين الخجندىّ رئيس الشافعيّة باصفهان الديوانّ ببغداد يبذل من نفسه تسليم البلد الى مَن يصل من الديوان من العساكر وكان يعدّ الحاكم باصفهان على جميع اهلها فسيّرت العساكر فوصلوا الى اصفهان ونزلوا بظاهر البلد وفارقه عسكر خوارزم شاه وعادوا الى خراسان وتبعهم بعض عسكر الخليفة فتحفظوا منهم واخذوا من ساقة العسكر مَن قدروا عليه ودخل عسكر الخليفة الى اصفهان وملكوها ☆

ذكر ابتدآء حال كوكجه ومُلكه بلد الرىّ وهمذان وغيرها

لمّا عاد خوارزم شاه الى خراسان كما ذكرنا ثمّ انّ المماليك الذين للبهلوان والامرآء اتّفقوا وقدّموا على انفسهم كوكجه وهو من اعيان البهلوانيّة واستولوا على الرىّ وما جاورها من البلاد وساروا الى اصفهان لاخراج الخوارزميّة منها فلمّا قاربوها سمعوا بعسكر الخليفة عندها فارسل الى مملوك الخليفة سيف الدين طغرل يعرض نفسه على خدمة الديوان ويظهر العبودية وانّه انّما قصد اصفهان فى طلب العساكر الخوارزميّة وحيث رءاهم فارقوا اصفهان وسار فى طلبهم فلم يدركهم وسار عسكر الخليفة من اصفهان الى همذان ، وامّا كوكجه فانّه تبع الخوارزميّة الى طبس وهى من بلاد الاسماعليّة وعاد فقصد اصفهان وملكها وارسل الى بغداد يطلب ان يكون له الرىّ

وخوار[1] الرىّ وساوة وقمّ وقاجان وما ينضمّ اليها فى حدّ مزدغان ويكون اصفهان وهمذان وزنجان[2] وقزوين لديوان الخليفة فاجيب الى ذلك وكُتب له منشور بما طلب وأُرسلت له الخلع فعظم شانه وقوى امره وكثرت عساكره وتعظّم على اصحابه ۞

ذكر حصر العزيز دمشق ثانية وانهزامه عنها

وفى هذه السنة ايضًا خرج الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين من مصر فى عساكره الى دمشق يريد حصرها فعاد عنها منهزمًا وسبب ذلك انّ مَن عنده من مماليك ابيه والمعروفون بالصلاحيّة فخر الدين جركس وسرا سنقر وقراجا وغيرهم كانوا منحرفين عن الافضل علىّ بن صلاح الدين لانّه كان قد اخرج مَن عنده منهم مثل ميمون القصرىّ وسنقر الكبير وايبك وغيرهم فكانوا لا يزالون يخوّفون العزيز من اخيه ويقولون انّ الاكراد والمماليك الاسديّة من عسكر مصر يريدون اخاك ونخاف ان يميلهم اليه ويخرجوك من البلاد والمصلحة ان ناخذ دمشق، فخرج فى العام الماضى وعاد كما ذكرناه فتجهّز هذه السنة ليخرج فبلغ الخبر الى الافضل فسار من دمشق الى عمّه الملك العادل فاجتمع به بقلعة جعبر ودعاه الى نصرته وسار من عنده الى حلب الى اخيه الملك الظاهر غازى فاستنجد به وسار الملك العادل من قلعة جعبر الى دمشق فسبق الافضلَ اليها ودخلها وكان الافضل لثقته به قد امر نوّابه بادخاله الى القلعة ثمّ عاد الافضل من حلب الى دمشق، فارسل مقدّم الاسديّة وهو سيف الدين ابازكوش وغيره منهم ومن الاكراد ابو الهيجآء السمين وغيره الى الافضل والعادل بالاحياز اليهما والكون معهما وبامرهما بالاتّفاق على العزيز والخروج من دمشق ليسلّموه اليهما وكان سبب الانحراف عن العزيز وميلهم الى الافضل انّ العزيز لمّا ملك مصر مال الى المماليك الناصريّة وقدمهم ووثق بهم ولم يلتفت الى هولآء الامرآء فاتّفقوا من ذلك ومالوا الى اخيه فلمّا ارسلوا الى الافضل والعادل فأنقا على ذلك واستقرّت القاعدة بحضور رسل الامرآء انّ الافضل يملك الديار المصريّة ويسلّم دمشق الى عمّه الملك

جوار (1 زنجان (2

العادل وخرجا من دمشق فانحاز اليهما مَن ذكرنا فلم يمكن العزيز المقام بل عاد منهزمًا يطوى المراحل خوف الطلب ولا يصدّق بالنجاة وتساقط اصحابه عنه الى ان وصل الى مصر وامّا العادل والافضل فانّهما ارسلا الى القدس وفيه نايب العزيز فسلّمه اليهما وسارا فيمَنْ معهما من الاسديّة والاكراد الى مصر فراى العادل انضمامة العساكر الى الافضل واجتماعهم عليه فخاف انّه ياخذ مصر ولا يسلّم اليه دمشق فارسل حينيئذ سرًّا الى العزيز يامره بالثبات وان يجعل مدينة بلبيس مَن يحفظها وتكفّل بانّه يمنع الافضل وغيره من مقاتلة مَن بها فجعل العزيز الناصريّة ومقدّمهم فخر الدين جركس بها ومعهم غيرهم ووصل العادل والافضل الى بلبيس فنازلوا مَن بها من الناصريّة واراد الافضل مناجزتهم او تركهم بها والرحيل الى مصر فمنعه العادل من الامرَيْن وقال هذه عساكر الاسلام فاذا اقتتلوا فى الحرب مَن يردّ العدوّ الكافر وما بها حاجة الى هذا فانّ البلاد لك وبحكمك ومتى قصدتَ مصر والقاهرة واخذتَهما قهرًا زالت هيبة البلاد وطمع فيها الاعداء وليس فيها مَن يمنعك عنها وسلك معه مثال هذا فطالت الايّام وارسل الى العزيز سرًّا يامره بارسال القاضى الفاضل وكان مطاعًا عند البيت الصلاحىّ لعلوّ منزلته كانت عند صلاح الدين فحضر عندهما واجرى ذكر الصلح وزاد القول ونقص وانفسخت العزايم واستقرّ الامر على ان يكون للافضل القدس وجميع البلاد بفلسطين وطبريّة والاردن وجميع ما بيده ويكون للعادل اقطاعه الذى كان قديمًا ويكون مقيمًا بمصر عند العزيز وانّما اختار ذلك لانّ الاسديّة والاكراد لا يريدون العزيز فهم يجتمعون معه فلا يقدر العزيز على منعه عمّا يريد فلمّا استقرّ الامر على ذلك وتعاهدوا عاد الافضل الى دمشق وبقى العادل بمصر عند العزيز ☆

ذكر عدّة حوادث

فى ذى القعدة تاسع عشره وقع حريق عظيم ببغداد بعقد المصطنع فاحترقت المربعة التى بين يديه ودكان ابن البخيل الهرّاس وقيل كان ابتداؤها من دار ابن البخيل ☆

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وخمسماية ٥٩٢ سنة

ذكر مُلك شهاب الدين بهنكر[1] وغيرها من بلد الهند

في هذه السنة سار شهاب الدين الغوريّ صاحب غزنة الى بلد الهند وحصر قلعة بهنكر[1] وهي قلعة عظيمة منيعة فحصرها فطلب اهلها منه الامان على ان يسلّموا اليه فامّنهم وتسلّمها واقام عندها عشرة ايّام حتّى رتّب جندها واحوالها وسار عنها الى قلعة كواليرَ[2] وبينهما مسيرة خمسة ايّام وفي الطريق نهر فجازه ووصل الى كواليرَ[2] وهي قلعة منيعة حصينة على جبل لا يصل اليها حجر منجنيق ولا نشاب وهي كبيرة فاقام عليها صفرًا جميعه يحاصرها فلم يبلغ منها غرضًا فراسله مَن بها في الصلح فاجابهم اليه على ان يُقرَّ القلعة بايديهم على مال يحملونه اليه فحملوا اليه فيلًا حمله ذهب فرحل عنها الى بلاد آى وسور[3] فاغار عليها ونهبها وسبى واسر ما يعجز العادُّ حصره ثمّ عاد الى غزنة سالمًا ۞

ذكر مُلك العادل مدينة دمشق من الافضل

في هذه السنة في السابع والعشرين من رجب ملك الملك العادل ابو بكر ابن ايّوب مدينة دمشق من ابن اخيه الافضل عليّ ابن صلاح الدين وكان ابلغ الاسباب في ذلك وثوق الافضل بالعادل وانّه بلغ من وثوقة انّه ادخله بلده وهو غايب عنه ولقد ارسل اليه اخوه الظاهر غازى صاحب حلب يقول له اخرج عمّنا من بيننا فانّه لا يجيء علينا منه خير ونحن ندخل لك تحت كلّ ما تريد وانا اعرف به منك واقرب اليه فانّه عمّى مثل ما هو عمّك وانا زوج ابنته ولو علمتُ انه يريد لنا خيرًا لكنتُ انا اولى به منك فقال له الافضل انت سيّئ الظنّ في كلّ احد اىّ مصلحة لعمّنا في ان يوذينا ونحن اذا اجتمعت كلمتنا وسيّرنا معه العساكر من عندنا كلّنا فلك من البلاد اكثر من بلادنا ونريحُ سوء الذكر، وهذا كان ابلغ الاسباب ولا يعلمها كلّ احد وامّا غير هذا فقد ذكرنا مسير العادل والافضل الى مصر وحصارهم بلبيس وصلحهم مع الملك العزيز ابن صلاح الدين ومقام العادل معه بمصر فلمّا

---

[1]) C. P.: نهنكر
[2]) 740. C. P. et Ups.: كواكير
[3]) C. P.: اصى وسور :740 الصى وصور

اقام عنده استمالة وقرّر معه انّه يخرج معه الى دمشق وياخذها من اخيه ويسلّمها اليه فسار معه من مصر الى دمشق وحصروها واستمالوا اميرًا من امرآء الافضل يقال له العزيز [ابن] ابى غالب الحمصىّ وكان الافضل كثير الاحسان اليه والاعتماد عليه والوثوق به فسلّم اليه بابًا من ابواب دمشق يُعرف بالباب الشرقىّ ليحفظه فمال الى العزيز والعادل ووعدهما انّه يفتح لهما الباب ويدخل العسكر منه الى البلد غفلةً ففتحه اليوم السابع والعشرين من رجب وقت العصر وادخل الملك العادل منه ومعه جماعة من اصحابه فلم يشعر الافضل الّا وعمّه معه فى دمشق وركب الملك العزيز ووقف بالميدان الاخضر غربىّ دمشق فلمّا راى الافضل انّ البلد قد مُلك خرج الى اخيه وقت المغرب واجتمع به ودخلا كلاهما البلد واجتمعا بالعادل وقد نزل فى دار اسد الدين شيركوه وتحادثوا فاتّفق العادل والعزيز على ان اوهما الافضل انّهما يبقيان عليه البلد خوفًا انّه ربّما جمع مَن عنده من العسكر وثار بهما ومعه العامّة فاخرجهم من البلد لانّ العادل لم يكن فى كثرة واعاد الافضل الى القلعة وبات العادل فى دار شيركوه وخرج العزيز الى الخيم فبات فيها وخرج العادل من الغد الى جوسقه فاقام به وعساكره فى البلد فى كلّ يوم يخرج الافضل اليهما ويجتمع بهما فبقوا كذلك ايّامًا ثمّ ارسلا اليه واقرّاه بمفارقة القلعة وتسليم البلد على قاعدة ان تُعطى قلعة صرخد له ويُسلّم جميع اعمال دمشق فخرج الافضل ونزل فى جوسق بظاهر البلد غربىّ دمشق وتسلّم العزيز القلعة ودخلها واقام بها ايّامًا فجلس يومًا فى مجلس شرابه فلمّا اخذت منه الخمر جرى على لسانه انّه يعيد البلد الى الافضل فنقل ذلك الى العادل فى وقته فحضر المجلس فى ساعته والعزيز سكران فلم يزل به حتّى سلّم البلد اليه وخرج منه وعاد الى مصر وسار الافضل الى صرخد وكان العادل يذكر انّ الافضل سعى فى قتله فلهذا اخذ البلد منه وكان الافضل ينكر ذلك ويتبرّأ منه وَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ[1] ۞

---

[1]) Cor. 2, 107.

Digitized by Google

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة هبّت ريح شديدة بالعراق واسودّت لها الدنيا ووقع رمل احمر واستعظم الناس ذلك وكبّروا واشتغلت الاضوآء بالنهار ، وفيها قُتل صدر الدين محمود بن عبد اللطيف بن محمّد بن ثابت[1] الخجندىّ رئيس الشافعيّة باصفهان قتله فلك الدين سنقر الطويل شحنة اصفهان بها وكان قدم بغداد سنة ثمان وثمانين وخمسمائة واستوطنها وولى النظر فى المدرسة النظاميّة ببغداد ولمّا سار مؤيّد الدين ابن القصّاب الى خوزستان سار فى صحبته فلمّا ملك الوزير اصفهان اقام ابن الخجندىّ بها فى بيته وملكه ومنصبه فجرى بينه وبين سنقر الطويل شحنة اصفهان للخليفة منافرة فقتله سنقر ، وفى رمضان درّس مجير الدين ابو القاسم محمود بن المبارك البغدادىّ الفقيه الشافعىّ بالمدرسة النظاميّة ببغداد ، وفى شوّال منها اثبت نصير الدين ناصر بن مهدى العلوىّ الرازىّ فى الوزارة ببغداد وكان قد توجّه الى بغداد لمّا ملك ابن القصّاب الرىّ ، وفيها ولى ابو طالب يحيى بن سعيد بن زيادة ديوان الانشآء ببغداد وكان كاتبًا مُفلقًا وله شعر جيّد ، وفى صفر منها توفّى الفخر محمود بن علىّ القُوفانىّ[2] الفقيه الشافعىّ بالكوفة عايدًا من الحجّ وكان من اعيان اصحابه محمّد بن يحيى ، وفى رجب منها توفّى ابو الغنايم محمّد بن علىّ بن المعلّم الشاعر الهُرثمىّ والهرث بضمّ الهآء والثآء المثلثة قرية من اعمال واسط عن احدى وتسعين سنة ، وفى رابع شعبان منها توفّى الوزير مؤيّد الدين ابو الفضل محمّد بن علىّ ابن القصّاب بهمدان وقد ذكرنا من كفايته ونهضته ما فيه كفاية ☆

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين خمسمائة ، سنة ٥٩٣

ذكر ارسال الامير ابى الهيجآء الى همدان وما فعله

وصل الى بغداد امير كبير من امرآء مصر اسمه ابو الهيجآء ويُعرف بالسمين لانّه كان كثير السمن وكان من اكابر امرآء مصر وكان فى اقطاعه اخيرًا البيت المقدّس وغيره ممّا يجاوره فلمّا ملك العزيز والعادل مرتبة دمشق من الافضل اخذ القدس منه ففارق الشام وعبر الفراة الى الموصل

---

[1] نابت [2] القوفانى

ثمّ انحدر الى بغداد لانّه طُلب من ديوان الخلافة فلمّا وصل اليها اكرم اكرامًا كثيرًا ثمّ امر بالتجهيز والمسير الى همذان مقدّمًا على العساكر البغداديّة فسار اليها والتقى عندها بالملك اوزبك بن البهلوان وامير علم وابنه وابن سطمش وغيرهم وهم قد كاتبوا الخليفة بالطاعة فلمّا اجتمع بهم ووثقوا اليه ولم يحذروه قبض على اوزبك وابن سطمش وابن قرا بموافقة من امير علم فلمّا وصل الخبر بذلك الى بغداد انكرت هذه الحال على ابى الهيجآء وامر بالافراج عن الجماعة وسُيّرت لهم الخلع من بغداد تطييبًا لقلوبهم فلم يسكنوا بعد هذه الحادثة ولا امنوا ففارقوا ابا الهيجآء السمين فخاف الديوان فلم يرجع اليه ولم يمكنه ايضًا المقام فعاد يريد اربل لانّه من بلدها هو فتوفّى قبل وصوله اليها وهو من الاكراد الحكميّة من بلد اربل ❊

ذكر مُلك العادل يافا من الفرنج ومُلك الفرنج بيروت من المسلمين وحصر الفرنج تبنين ورحيلهم عنها

فى هذه السنة فى شوّال ملك العادل ابو بكر بن ايّوب مدينة يافا من الساحل الشامىّ هو بيد الفرنج لعنهم الله وسبب ذلك انّ الفرنج كان قد ملكهم الكند هرى على ما ذكرناه قبلُ وكان الصلح قد استقرّ بين المسلمين والفرنج ايّام صلاح الدين يوسف بن ايّوب رحمه الله تعالى فلمّا توفّى وملك اولاده بعده كما ذكرناه جدّد الملك العزيز الهدنة مع الكند هرى وزاد فى مدّة الهدنة وبقى ذلك الى الآن ، وكان بمدينة بيروت امير يُعرف باسامة وهو مقطعها فكان يرسل الشوانى تقطع الطريق على الفرنج فاشتكا الفرنج من ذلك غير مرّة الى الملك العادل بدمشق والى الملك العزيز بمصر فلم يمنعا اسامة من ذلك فارسلوا الى ملوكهم الذين داخل البحر يشتكون اليهم ما يفعل بهم المسلمون ويقولون ان لم تنجدونا والّا اخذ المسلمون البلاد فامدّهم الفرنج بالعساكر الكثيرة وكان اكثرهم من ملك الالمان وكان المقدّم عليهم قسّ يعرف بالخنصليرى[1] فلمّا سمع العادل بذلك ارسل الى العزيز بمصر يطلب العساكر وارسل الى ديار

---

[1] بالحصكيرى

الجزيرة والموصل يطلب العساكر فجآءته الامرآء واجتمعوا على عين الجالوت فاقاموا شهر رمضان وبعض شوّال ورحلوا الى يافا وملكوا المدينة وامتنع مَن بها بالقلعة التى لها فخرّب المسلمون المدينة[1] وحصروا القلعة فملكوها عنوةً وقهرًا بالسيف فى يومها وهو يوم الجمعة واخذ كلّ ما بها غنيمة واسرًا وسبْيًا ووصل الفرنج من عكّا الى قيساريّة ليمنعوا المسلمين عن يافا فوصلهم الخبر بها بملكها فعادوا وكان سبب تاخّرهم انّ ملكهم الكند هرى سقط من موضع عالٍ بعكّا فمات فاختلفت احوالهم فتاخّروا لذلك ، وعاد المسلمون الى عين الجالوت فوصلهم الخبر بانّ الفرنج على عزم قصد بيروت فرحل العادل والعسكر فى ذى القعدة الى مرج العيون وعزم على تخريب بيروت فسار اليها جمع من العسكر وهدموا سور المدينة سابع ذى الحجّة وشرعوا فى تخريب دورها وتخريب القلعة فمنعهم اسامة من ذلك وتكفّل بحفظها ، ورحل الفرنج من عكّا الى صيدا وعاد عسكر المسلمين من بيروت فالتقوا الفرنج بنواحى صيدا وجرى بينهم مناوشة فقُتل من الفريقَيْن جماعة وحجز بينهم الليل وسار الفرنج تاسع ذى الحجّة فوصلوا الى بيروت فلمّا قاربوها هرب منها اسامة وجميع مَن معه من المسلمين فملكوها صفوًا عفوًا بغير حرب ولا قتال فكانت غنيمة باردة ، فارسل العادل الى صيدا مَن خرّب ما كان بقى منها فانّ صلاح الدين كان قد خرّب اكثرها وسافرت العساكر الاسلاميّة الى صور فقطعوا اشجارها وخرّبوا ما لها من قُرًى وابراج فلمّا سمع الفرنج بذلك رحلوا من بيروت الى صور واقاموا عليها ونزل المسلمون عند قلعة هونين واذن للعساكر الشرقيّة بالعود ظنًّا منه انّ الفرنج يقيمون ببلادهم واراد ان يعطى العساكر المصريّة دستورًا بالعود فاتاه الخبر منتصف المحرّم انّ الفرنج يريدون ان يحصروا حصن تبنين فسيّر العادل اليه عسكرًا يحمونه ويمنعون عنه ورحل الفرنج من صور ونازلوا تبنين أوّل صفر سنة اربع وتسعين وقاتلوا مَن به وجدّوا فى القتال ونقبوه من جهاتهم فلمّا علم العادل بذلك ارسل الى العزيز بمصر يطلب منه ان يحضر هو بنفسه ويقول له ان حضرتَ والّا فلا يمكن حفظ هذا

---

[1] القلعة (

الثغر فسار العزيز مجدًّا فيمن بقي معه من العساكر وامّا مَن تحصّن بتبنين فانّهم لمّا رءاوا النقوب قد خرّبت تذلّ القلعة ولم يبق الاّ ان يملكوها بالسيف نزل بعض مَن فيها الى الفرنج يطلب الامان على انفسهم واموالهم ليسلّموا القلعة وكان المرجع الى القسيس الخنصليز[1] من اصحاب ملك الالمان فقال لهولآء المسلمين بعض الفرنج الذين من ساحل الشام ان سلّمتم الحصن استاسركم هذا وقتلكم فاحفظوا نفوسكم فعادوا كانّهم يراجعون مَن فى القلعة ليسلّموا فلمّا صعدوا اليها صرّوا على الامتناع وقاتلوا قتال مَن يحمى نفسه فحموها الى ان وصل الملك العزيز الى عسقلان فى ربيع الاوّل فلما سمع الفرنج بوصوله واجتماع المسلمين وانّ الفرنج ليس لهم ملك يجمعهم وان امرهم الى امراة وهى الملكة فاتّفقوا وارسلوا الى ملك قبرس واسمه هيمرى فاحضروه وهو اخو الملك الذى أُسر بحطّين كما ذكرناه فزوّجه بالملكة زوجة الكند هرى وكان رجلًا عاقلًا يحبّ السلامة والعافية فلمّا ملكهم لم يعد الى الزحف على الحصن ولا قاتل واتّفق وصول العزيز اوّل شهر ربيع الاخر ورحل هو والعساكر الى جبل الخليل الذى يعرف بجبل عاملة فاقاموا ايّامًا والامطار متداولة فبقى الى ثالث عشر الشهر ثمّ سار وقارب الفرنج وارسل رُماة النشاب فرموهم ساعة وعادوا ورتّب العساكر ليزحف الى الفرنج ويجدّ فى قتالهم فرحلوا الى صور خامس عشر الشهر المذكور ليلًا ثمّ رحلوا الى عكّا فسار المسلمون فنزلوا اللجون وتراسلوا فى الصلح وتطاول الامر فعاد العزيز الى مصر قبل انفصال الحال وسببُ رحيله انّ جماعة من الامرآء وهم ميمون القصرى واسامة وسراسنقر والحجاف وابن المشطوب وغيرهم قد عزموا على الفتك به وبفخر الدين جركس مدبّر دولته والله سبحانه وتعالى اعلم بذلك فلمّا سمع بذلك سار الى مصر وبقى العادل وتردّدت الرسل بينه وبين الفرنج فى الصلح فى شعبان سنة اربع وتسعين فلمّا انتصم الصلح عاد العادل الى دمشق وسار منها الى ماردين من ارض الجزيرة فكان ما نذكره ان شآء الله تعالى ۞

---

[1] الخنصكير

ذكر وفاة سيف الاسلام وملك ولده

فى شوّال من هذه السنة توفّى سيف الاسلام طغتكين ابن ايّوب اخو صلاح الدين وهو صاحب اليمن بزبيد وقد ذكرنا كيف ملك وكان شديد السيرة مُضيّقًا على رعيّته يشترى اموال التجار لنفسه ويبيعها كيف شآء واراد مُلك مكّة حرسها الله تعالى فارسل الخليفة الناصر لدين الله الى اخيه صلاح الدين فى المعنى فنعه من ذلك وجمع من الاموال ما لا يُحصى حتّى انّه من كثرته كان يسبك الذهب ويجعله كالطاحون ويدّخره، ولمّا توفّى ملك بعده ابنه اسمعيل وكان اهوج كثير التخليط بحيث انّه ادّعى انّه قرشىّ من بنى أُميّة وخطب لنفسه بالخلافة وتلقّب بالهادى فلمّا سمع عمّه الملك العادل ذلك ساآه واهمّه وكتب اليه يلومه ويُوبّخه ويامره بالعود الى نسبه الصحيح وبترك ما ارتكبه ممّا يضحك الناس منه فلم يلتفت اليه ولم يرجع وانصاف الى ذلك انّه اساآ السيرة مع اجناده وامرآيه فوثبوا عليه فقتلوه وملّكوا بعده اميرًا من مماليك ابيه ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ربيع الاخر توفّى ابو بكر عبد الله بن منصور ابن عمران الباقلانىّ المقرى الواسطىّ بها عن ثلاث وسبعين سنة وثلاثة اشهر وايّام وهو اخر مَن بقى من اصحاب القلانسىّ[1]، وفى جمادى الاخرة توفّى قاضى القُضاة ابو طالب علىّ بن البُخارىّ ببغداد ودُفن بتربته فى مشهد باب النين[1]، وفيها فى ربيع الاخر توفّى ملكشاه بن خوارزم شاه تكش بنيسابور وكان ابوه قد جعله فيها واضاف اليه عساكر جميع بلاده التى بخراسان وجعله ولىّ عهده فى المُلك وخلف ولدًا اسمه هندوخان فلمّا مات جعل فيها ابوه خوارزم شاه بعده ولده الاخر قطب الدين محمّدًا وهو الذى ملك بعد ابيه وكان بين الاخوين عداوة مستحكمة أفضَتْ الى انّ محمّدًا لمّا ملك بعد ابيه هرب هندوخان بن ملكشاه منه على ما نذكره، وفيها توفّى شيخنا ابو القاسم يعيش بن صدقة بن علىّ الفرانى[2] الضرير الفقيه الشافعىّ كان امامًا فى الفقه مدرّسًا صالحًا

(1 النين (2 الفرانى

كثير الصلاح سمعتُ عليه كثيرًا لم ار مثله رحمه الله تعالى ولقد شاهدتُ منه عجبًا يدلّ على دينه وارادته بعمله وجه الله تعالى وذلك انّى كنتُ اسمع عليه ببغداد سنن ابى عُبد الرحمان النسائىّ وهو كتاب كبير والوقت ضيّق لانى كنتُ مع الحجاج قد عُدّنا من مكّة حرسها الله فبينما نحن نسمع عليه مع اخى الاكبر مجد الدين ابى السعادات واذ قد اتاه انسان من اعيان بغداد وقال له قد برز الامر لتحضر لامر كذا فقال انا مشغول بسماع هولآء السادة ووقتهم يفوت والذى يُراد منّى لا يفوت فقال انا لا احسن اذكر هذا فى مقابل امر الخليفة فقال لا عليك قُلْ قال ابو القاسم لا احضر حتّى يفرغ السماع فسالناه ليمشى معه فلم يفعل ذلك وقال اقرؤا فقرأنا فلمّا كان الغد واذ قد حضر غلام لنا وذكر انّ امير الحاجّ الموصلىّ قد رحل فعظم الامر علينا فقال ولِمَ يعظم عليكم العود الى اهلكم وبلدكم فقلنا لاجل فراغ هذا الكتاب فقال اذا رحلتم استعير دابّة واركبها فاسير معكم وانتم تقرؤن فاذا فرغتم عُدْتُ فمضى الغلام ليتزوّد ونحن نقرأ فعاد وذكر انّ الحاجّ لم يرحلوا ففرغنا من الكتاب فانظر الى هذا الدين المتين يردّ امر الخليفة وهو يخافه ويرجوه ويريد يسير معنا ونحن غرباء لا يخافنا ولا يرجونا ☆

سنة ٥٩٤ **ثم دخلت سنة اربع وتسعين وخمسمائة**

ذكر وفاة عماد الدين ومُلك ولده قطب الدين محمّد

فى هذه السنة فى المحرّم توفّى عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى بن اقسنقر صاحب سنجار ونصيبين والخابور والرقّة وقد تقدّم ذكره كيف ملكها سنة تسع وسبعين وكان رحمه الله عادلًا حسن السيرة فى رعيّته عفيفًا عن اموالهم واملاكهم متواضعًا يحبّ اهل العلم والدين ويحترمهم ويجلس معهم ويرجع الى اقوالهم الّا انّه كان بخيلًا شديد البُخل وملك بعده ابنه قطب الدين محمّد وتولّى تدبير دولته مجاهد الدين يرنقش مملوك ابيه وكان دينًا خيّرًا عادلًا حسن السيرة كثير البرّ والاحسان الى الفقرآء وكان رحمه الله شديد التعصّب على مذهب الحنفيّة[1] كثير الذمّ

---

[1]) الشافعى

للشافعيّة فمن تعصّبه انّه بنى مدرسة للحنفيّة بسنجار وشرط ان يكون النظر للحنفيّة من اولاده دون الشافعيّة وشرط ان يكون البوّاب والفرّاش على مذهب ابى حنيفة وشرط للفقهآء طبيخًا يطبخ ذلك كلّ يوم وهذا نظر حسن رحمه الله ۞

ذكر مُلك نور الدين نصيبين

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سار نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل الى مدينة نصيبين فملكها واخذها من ابن عمّه قطب الدين محمّد وسبب ذلك انّ عمّه عماد الدين كان له نصيبين فتطاول نوّابه بها واستولوا على عدّة قُرًى من اعمال بين النهرَيْن من ولاية الموصل وهى تجاور نصيبين فبلغ الخبر مجاهد الدين قايماز القايم بتدبير مملكة نور الدين بالموصل كلّها والمرجوع اليه فيها فلم يعلم مخدومه بذلك لما علم من قلّة صبره على احتمال مثل هذا وخاف ان يجرى خلف بينهم فارسل من عنده رسولًا الى عماد الدين فى المعنى وقبّح هذا الفعل الذى فعله النوّاب بغير امره وقال انّنى ما اعلمتُ نور الدين بالحال ليُلّا يخرج عن يدك فانّه ليس كوالده واخاف يبدوا منه ما يخرج الامر فيه عن يدىّ فاعاد الجواب انّهم لم يفعلوا الّا ما امرتُهم به وهذه القرى من اعمال نصيبين فتردّدت الرسل بينهما فلم يرجع عماد الدين عن اخذها فحينيئذ اعلم مجاهدُ الدين نورَ الدين بالحال فارسل نور الدين رسولًا من مشايخ دولته ممّن خدم جدّهم الشهيد زنكى ومن بعده وحمله رسالة فيها بعض الخشونة فمضى الرسول فلحق عماد الدين قد مرض فلمّا سمع الرسالة لم يلتفت وقال لا اعيد ملكى فاشار الرسول من عنده حيث هو من مشايخ دولتهم بترك وتسليم ما اخذه وحذّره عاقبة ذلك فاغلظ عليه عماد الدين القول وعرّض بذمّ نور الدين واحتقاره ، فعاد الرسول وحكى لنور الدين جليّة الحال فغضب نور الدين وعزم على المسير الى نصيبين واخذها من عمّه فاتّفق انّ عمّه مات وملك بعده ابنه فقوى طمعه فنعه مجاهد الدين فلم يمتنع وتجهّز وسار اليها ، فلمّا سمع قطب الدين صاحبها سار اليها من سنجار فى عسكره ونزل عليها ليمنع نور الدين عنها فوصل نور الدين وتقدّم

Digitized by Google

الى البلد وكان بينهما نهر فجازه بعض امرآيه وقاتل مَن بازآءه فلم يثبتوا له فعبر جميع العسكر النورىّ وتمّت الهزيمة على قطب الدين فصعد هو ونايبه مجاهد الدين يرنقش[1] الى قلعة نصيبين وادركهم الليل فخرجوا منها هاربين الى حرّان وراسلوا الملك العادل ابا بكر بن ايّوب صاحب حرّان وغيرها وهو بدمشق وبذلوا له الاموال الكثيرة ليناجدهم ويعيد نصيبين اليهم واقام نور الدين بنصيبين مالكها فتضعضع عسكره بكثرة الامراض وعودهم الى الموصل وموت كثير منهم ووصل العادل الى الديار الجزريّة فحينيذ فارق نور الدين نصيبين وعاد الى الموصل فى شهر رمضان فلمّا فارقها تسلّمها قطب الدين ، وممّن توفّى من امرآء الموصل عزّ الدين جورديك وشمس الدين عبد الله ابن ابرهيم وفخر الدين عبد الله بن عيسى المهرانيّان ومجاهد الدين قايماز وظهير الدين يولق بن بلنكرى[2] وجمال الدين محاسن وغيرهم ولمّا عاد نور الدين الى الموصل قصد العادل قلعة ماردين فحصرها وضيّق على اهلها على ما نذكره ان شآء الله تعالى ☆

ذكر مُلك الغوريّة مدينة بلخ من الخطا الكافر

فى هذه السنة ملك بهآء الدين سام بن محمّد بن مسعود وهو ابن اخت غياث الدين [وشهاب الدين] صاحبَىْ غزنة وغيرها وله بامیان مدينةَ بلخ وكان صاحبها تُركيًّا اسمه ارنبه وكان يحمل الخراج كلّ سنة الى الخطا بما وراآء النهر فتوفّى هذه السنه فسار بهآء الدين سام الى المدينَة فملكها وتمكّن منها وقطع الحمل الى الخطا وخطب لغياث الدين وصارت من جملة بلاد الاسلام بعد ان كانت فى طاعة الكافر ☆

ذكر انهزام الخطا من الغوريّة

وفى هذه السنة عبر الخطا نهر جيحون الى ناحية خراسان فعاثوا فى البلاد وافسدوا فلقيهم عسكر غياث الدين الغورىّ وقاتلهم فانهزم الخطا ، وكان سبب ذلك انّ خوارزم شاه تكش كان قد سار الى بلد الرىّ وهمذان واصفهان وما بينهما من البلاد وملكها وتعرّض الى عساكر الخليفة واظهر طلب السلطنة والخطبة ببغداد فارسل الخليفة الى غياث الدين

---

(1) يرنقش (2) يرلق بن بلنكرى

ملك الغور وغزنة [يامره][1] بقصد بلاد خوارزم شاه [ليعود عن قصد العراق وكان خوارزم شاه][2] قد عاد الى خوارزم فراسله غياث الدين يقبّح له فعله وينهدّده بقصد بلاده واخذها فارسل خوارزم شاه الى الخطا يشكوا اليهم من غياث الدين ويقول ان لم تدركوه بانفاذ العساكر والّا اخذ غياث الدين بلاده كما اخذ مدينة بلخ وقصد بعد ذلك بلادهم ويتعذّر عليهم منعه ويعجزون عنه ويضعفون عن ردّه عن ما وراء النهر فجهّز ملك الخطا جيشًا كثيفًا وجعل مقدّمهم المعروف بطاينكوا وهو كالوزير فساروا وعبروا جيحون فى جمادى الاخرة وكان الزمان شتآء وكان شهاب الدين الغورىّ اخو غياث الدين ببلاد الهند والعساكر معه وغياث الدين به من النقرس ما يمنعه من الحركة انّما يحمل فى محفة والذى يقود الجيش ويباشر الحروب اخوه شهاب الدين فلمّا وصل الخطا الى جيحون سار خوارزم شاه الى طوس عازمًا على قصد هراة ومحاصرتها وعبر الخطا النهر ووصلوا الى بلاد الغور مثل كرزبان وشبرقان وغيرهما وقتلوا واسروا ونهبوا وسبوا كثيرًا لا يُحصى فاستغاث الناس بغياث الدين فلم يكن عنده من العساكر ما يلقاهم بها فرلسل الخطا بهآء الدين سام ملك باميان يامرونه بالافراج عن بلخ او انّه يحمل ما كان مَن قبله يحمله من المال فلم يجبهم الى ذلك وعظمت المصيبة على المسلمين بما فعله الخطا فانتدب الامير محمّد بن جربك[3] الغورىّ وهو مقطع الطالقان من قبل غياث الدين وكان شجاعًا وكاتب الحسين بن خرميل[4] وكان بقلعة كرزبان واجتمع معهما الامير حرّوش[5] الغورىّ وساروا بعساكرهم الى الخطا فبيّتوهم وكبسوهم ليلًا ومن عادة الخطا انّهم لا يخرجون من خيامهم ليلًا ولا يفارقونها فاتاهم هولآء الغوريّة وقاتلوهم واكثروا القتل فى الخطا وانهزم مَن سلم منهم من القتل واين ينهزمون والعسكر الغورىّ خلفهم وجيحون بين ايديهم وظنّ الخطا انّ غياث الدين قد قصدهم فى عساكره فلمّا اصبحوا وعرفوا مَن قاتلهم وعلموا انّ غياث الدين بمكانه قويت قلوبهم وثبتوا عامّة نهارهم فقُتل من الفريقَيْن خلق

---

[1]) C. P. et 740. [2]) C. P. et 740. [3]) جرديك [4]) بدمتل [5]) حرّوس

Digitized by Google

عظيم ولحقت المتطوّعة بالغوريّين واتاهم مدد من غياث الدين وهم فى الحرب فثبت المسلمون وعظمت نكايتهم فى الكفّار وحمل الامير حرّوش على قلب الخطا وكان شيخًا كبيرًا فاصابه جراحة توفّى منها ثمّ انّ محمود بن جربك[1] وابن خرميل حملا فى اصحابهما وتنادوا الّا يرمى احد بقوس ولا يطعن برمح واخذوا اللتوت وحملوا على الخطا فهزموهم ولحقوهم بجيحون فمن صبر قُتل ومن القى نفسه فى الماء غرق ووصل الخبر الى ملك الخطا فعظم عليه وارسل الى خوارزم شاه يقول له انت قتلتَ رجالى واريد عن كلّ قتيل عشرة الاف دينار وكان القتلى اثنا عشر الفًا وانفذ اليه مَن ردّه الى خوارزم والزموه بالحضور عنده فارسل حينيئذ خوارزم شاه الى غياث الدين يُعرّفه حاله مع الخطا ويشكوا اليه ويستعطفه غير مرّة فاعاد الجواب يامره بطاعة الخليفة واعادة ما اخذه الخطا من بلاد الاسلام فلم ينفصل بينهما حال ☆

ذكر مُلك خوارزم شاه مدينة بخارى

لمّا ورد رسول ملك الخطا على خوارزم شاه بما ذكرناه اعاد الجواب انّ عسكرك انّما قصد انتزاع بلخ ولم ياتوا الى نُصرتى ولا اجتمعتُ بهم ولا امرتُهم بالعبور وان كنت فعلت ذلك فانا مقيم بالمال المطلوب متى ولكن حيث عجزتم انتم عن الغوريّة عُدْتم علىّ بهذا القول وهذا المطلب واما انا فقد اصلحتُ الغوريّة ودخلتُ فى طاعتهم ولا طاعة لكم عندى فعاد الرسول بالجواب فجهّز ملك الخطا جيشًا عظيمًا وسيّره الى خوارزم فحصرها فكان خوارزم شاه يخرج اليهم كلّ ليلة ويقتل منهم خلقًا عظيمًا واتاه من المتطوّعة خلق كثير فلم يزل هذا فعله بهم حتّى اتى على اكثرهم فدخل الباقون الى بلادهم ورحل خوارزم شاه فى اثارهم وقصد بخارى فنازلها وحصرها وامتنع اهلها منه وقاتلوه مع الخطا حتّى انّهم اخذوا كلبًا اعور والبسوه قبا وقلنسوة وقالوا هذا خوارزم شاه لانّه كان اعور وطافوا به على السور ثمّ القوه فى منجنيق [الى] العسكر وقالوا هذا سلطانكم وكان الخوارزميّون يسبّونهم ويقولون يا اجناد الكفّار انتم قد ارتددتم عن الاسلام فلم يزل

---

[1] جرنك

هذا دأبهم حتّى ملك خوارزم شاه البلد بعد ايّام يسيرة عنوةً وعفا عن اهله واحسن اليهم وفرّق فيهم مالًا كثيرًا واقام بها مدّة ثمّ عاد الى خوارزم ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ذى الحجّة توفّى ابو طالب يحيى بن سعيد بن زيادة كاتب الانشآء بديوان الخليفة وكان عالمًا فاضلًا له كتابة حسنة وكان رجلًا عاقلًا خيّرًا كثير النفع للناس وله شعر جيّد ، وفيها حصر الملك العادل ابو بكر بن ايّوب قلعة ماردين فى شهر رمضان وقاتل من بها وكان صاحبها حسام الدين يولق[1] ارسلان بن ايلغازى بن الى ابن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق كلّ هولآء ملوك ماردين وقد تقدّم من اخبارهم ما يعلم به محلّهم وكان صبيًّا والحاكم فى بلده ودولته مملوك ابيه النظام يرنقش وليس لصاحبه معه حكم البتّة فى شئ من الامور ولمّا حصر العادل ماردين ودام عليها سلّم اليه بعض اهلها الربض بمخامرة منهم فنهب العسكر اهله نهبًا قبيحًا وفعلوا بهم افعالا عظيمة لم يسمع بمثلها فلمّا تسلّم الربض تمكّن من حصر القلعة وقطع الميرة عنها وبقى عليها الى ان رحل عنها سنة خمس وتسعين على ما نذكره ان شآء الله ، وفيها توفّى الشيخ ابو علىّ الحسن بن مسلم بن ابى الحسن القادسىّ الزاهد المقيم ببغداد والقادسيّة التى ينسب اليها قرية بنهر عيسى من اعمال بغداد وكان من عباد الله الصالحين العاملين ودُفن بقريته ، وابو المجد علىّ بن ابى الحسن علىّ بن الناصر بن محمّد الفقيه الحنفىّ مدرّس اصحاب ابى حنيفة ببغداد وكان من اولاد محمّد بن الحنفية ابن امير المومنين علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه ☆

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، سنة ٥٩٥

ذكر وفاة الملك العزيز وملك اخيه الافضل ديار مصر

فى هذه السنة فى العشرين من المحرّم توفّى الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن ايّوب صاحب ديار مصر وكان سبب موته انّه خرج الى الصيد فوصل الى الفيّوم متصيّدًا فراى ذيبًا فركض فرسه فى

---

[1]) يولق

طلبه فعثر الفرس فسقط عنه فى الارض ولحقته حمى فعاد الى القاهرة مريضًا فبقى كذلك الى ان توفّى فلمّا مات كان الغالب على امره مملوك والده فخر الدين جهاركس[1] وهو الحاكم فى بلده فاحضر انسانًا كان عندهم من اصحاب الملك العادل ابى بكر بن ايّوب واراه العزيز ميّتًا وسيّره الى العادل وهو يحاصر ماردين كما ذكرناه ويستدعيه ليملّكه البلاد فسار القاصد مجدًّا فلمّا كان بالشام راى بعض اصحاب الافضل علىّ بن صلاح الدين فقال له قل لصاحبك انّ اخاه العزيز توفّى وليس فى البلاد مَن يمنعها فليسر اليها فليس دونها مانع وكان الافضل محبوبًا الى الناس يريدونه فلم يلتفت الافضل الى هذا القول واذ قد وصله رسل الامرآء من مصر يدعونه اليهم ليملّكوه وكان السبب فى ذلك انّ الامير سيف الدين يازكج[2] مقدّم الاسديّة والفرقة الاسديّة والامرآء الاكراد يريدونه ويميلون اليه وكان المماليك الناصريّة الذين هم ملك ابيه يكرهونه فاجتمع سيف الدين مقدّم الاسديّة وفخر الدين جهاركس[3] مقدم الناصريّة ليتّفقوا على مَن يولّونه الملك فقال فخر الدين نولّى ابن الملك العزيز فقال سيف الدين انّه طفل وهذه البلاد ثغر الاسلام ولا بدّ من قيم بالملك يجمع العساكر ويقاتل بها والراى انّنا نجعل الملك فى هذا الطفل الصغير ونجعل معه بعض اولاد صلاح الدين يدبّره الى ان يكبر فانّ العساكر لا تطيع غيرهم ولا تنقاد لامير فاتّفقا على هذا فقال جهاركس[4] فمن يتولّى هذا فاشار يازكج بغير الافضل فجرى بينه وبين جهاركس[4] منازعة ليّلا يتمّ وينفر جهاركس عنه فامتنع من ولايته فلم يزل يذكر من اولاد صلاح الدين واحدًا بعد أخر الى ان ذكر اخرهم الافضل فقال جهاركس[4] هو بعيد عنّا وكان بصرخد مقيمًا فيها من حين أُخذت منه دمشق فقال يازكج نرسل اليه مَن يطلبه مجدًّا فاخذ جهاركس[4] يغالطه فقال يازكج نمضى الى القاضى الفاضل وناخذ رايه فاتّفقا على ذلك وارسل يازكج يعرّفه ذلك ويشير بتمليك الافضل فلمّا اجتمعا عنده وعرّفاه صورة الحال اشار بالافضل فارسل يازكج فى الحال القصّاد وراّءه فسار عن صرخد لليلتَيْن

اياس جزكس (1 ايازكوش (2 اياز جركس (3 جركس (4

بقيتا من صفر متنكّرًا فى تسعة عشر نفسًا لانّ البلاد كانت للعادل ويضبط نوّابه الطرق ليلًا يجوز الى مصر ليجيء العادل ويملكها فلمّا قارب الافضل القدس وقد عدل عن الطريق المؤدّى اليه لقيه فارسان قد ارسلا اليه من القدس فاخبراه انّ مَن بالقدس قد صار فى طاعته وجدّ فى السير فوصل الى بلبيس خامس ربيع الاوّل ولقيه اخوته وجماعة الامرآء المصريّة وجميع الاعيان فاتّفق انّ اخاه الملك المؤيّد مسعودًا صنع له طعامًا وصنع له فخر الدين مملوك ابيه طعامًا فابتدا بطعام اخيه ليمين حلفها اخوه انّه يبدا به فظنّ جهاركس[1] انّه فعل هذا انحرافًا عنه وسوء اعتقاد فيه فتغيّرت نيّته وعزم على الهرب فحضر عند الافضل وقال انّ طايفة من العرب قد اقتتلوا وليّن لم تمض اليهم تصلح بينهم يودّى ذلك الى فساد فاذن له الافضل فى المضى اليهم ففارقه وسار مجدًّا حتّى وصل الى البيت المقدّس ودخله وتغلّب عليه ولحقه جماعة من الناصريّة منهم قراجة الزرهكش[2] وسراسنقر واحضروا عندهم ميمون القصرىّ صاحب نابلس وهو ايضًا من المماليك الناصريّة فقويت شوكتهم به واجتمعت كلمتهم على خلاف الافضل وارسلوا الى الملك العادل وهو على ماردين يطلبونه اليهم ليدخلوا معه الى مصر ليملكوها فلم يسر اليهم لانّه كانت اطماعه قد قويت فى اخذ ماردين وقد عجز مَن بها عن حفظها وانّه ياخذها والذى يريدونه لا يفوته واما الافضل فانّه دخل الى القاهرة سابع ربيع الاوّل وسمع بهرب جهاركس[1] فاهمّه ذلك وتردّدت الرسل بينه وبينهم ليعودوا اليه فلم يزدادوا الّا بُعدًا ولحق بهم جماعة من الناصريّة ايضًا فاستوحش الافضل من الباقين فقبض عليهم وهم شقيرة[3] وايبك[4] فطيس والبكى الفارس وكلّ هولآء بطلٌ مشهور ومقدّم مذكور سوى من ليس مثلهم فى التقدّم وعُلُوّ القدر واقام الافضل بالقاهرة واصلح الامور وقرّر القواعد والمرجع فى جميع الامور الى سيف الدين يازكج ۞

ذكر حصر الافضل مدينة دمشق وعوده عنها

لمّا ملك الافضل مصر واستقرّ بها ومعه ابن اخيه الملك العزيز اسم

---

[1]) جركس C. P. et 740. Ups.: الركرمش [2]) شقير :740 [3]) سُنقر C. P.: وايبك Ups. repetit: [4])

للملك له لصغره واجتمعت الكلمة على الافضل بها وصل اليه رسول اخيه الملك الظاهر غازى صاحب حلب ورسل ابن عمّه اسد الدين شيركوه بن محمّد بن شيركوه صاحب حمص يحثّانه على الخروج الى دمشق واغتنام الفرصة بغيبة العادل عنها وبذلا له المساعدة بالمال والنفس والرجال فبرز من مصر منتصف جمادى الاولى من السنة على عزم المسير الى دمشق واقام بظاهر القاهرة الى ثالث رجب ورحل فيه وتعوّق فى مسيره ولو بادر وعجّل المسير لملك دمشق لكنه تاخّر فوصل الى دمشق ثالث عشر شعبان فنزل عند جسر الخشب على فرسخ ونصف من دمشق وكان العادل قد ارسل اليه نوّابه بدمشق يعرّفونه قصد الافضل لهم ففارق ماردين وخلّف ولده الكامل محمّدًا فى جميع العساكر على حصارها وسار جريدة فجدّ فى السير فسبق الافضل فدخل دمشق قبل الافضل بيومَيْن واما الافضل فانّه تقدّم الى دمشق من الغد وهو رابع عشر شعبان ودخل ذلك اليوم بعينه طايفة يسيرة من عسقلان الى دمشق من باب السلامة وسبب دخولهم انّ قومًا من اجناده ممّن ببيوتهم مجاورة الباب اجتمعوا بالامير مجد الدين اخى الفقيه عيسى الهكّارىّ وتحدّثوا معه فى ان يقصد هو والعسكر باب السلامة ليفتحوه لهم فاراد مجد الدين ان يختصّ بفتح الباب وحده فلم يُعْلم الافضل ولا اخذ معه احدًا من الامرآء بل سار وحده بمفرده ومعه نحو خمسين فارسًا من اصحابه ففُتح له الباب فدخله هو ومَن معه فلمّا رءاهم عامّة البلد نادوا بشعار الافضل واستسلم مَن به من الجند ونزلوا عن الاسوار وبلغ الخبر الى الملك العادل فكاد يستسلم وتماسك واما الذين دخلوا البلد فانّهم وصلوا الى باب البريد فلمّا راى عسكر العادل بدمشق قلّة عددهم وانقطاع مددهم وثبوا بهم واخرجوهم منه وكان الافضل قد نصب خيمه بالميدان الاخضر وقارب عسكره الباب الحديد وهو من ابواب القلعة فقدّر الله تعالى ان اشير على الافضل بالانتقال الى ميدان الحصى ففعل ذلك فقويت نفوس مَن فيه وضعفت نفوس العسكر المصرىّ ثمّ انّ الامرآء الاكراد منهم تحالفوا فصاروا يدًا واحدةً يغضبون لغضب احدهم ويرضون لرضى احدهم فظنّ الافضل وباقى الاسديّة انّهم فعلوا بقاعدة بينهم وبين الدمشقيّين فرحلوا من موضعهم وتاخّروا فى العشرين من

شعبان ووصل اسد الدين شيركوه صاحب حمص الى الافضل الخامس والعشرين من شعبان ووصل بعده الملك الظاهر صاحب حلب ثانى عشر شهر رمضان وارادوا الزحف الى دمشق فمنعهم الملك الظاهر مكرًا باخيه وحسدًا له ولم يشعر اخوه الافضل بذلك ، واما الملك العادل فانه لما راى كثرة العساكر وتتابع الامداد الى الافضل عظم عليه فارسل الى الممالك الناصريّة بالبيت المقدّس يستدعيهم اليه فساروا سلخ شعبان فوصل خبرهم الى الافضل فسيّر اسد الدين صاحب حمص ومعه جماعة من الامرآء الى طريقهم ليمنعوهم فسلكوا غير طريقهم فجآء اوليك ودخلوا دمشق خامس رمضان فقوى العادل بهم قوّة عظيمة وايس الافضل ومن معه من دمشق وخرج عسكر دمشق فى شوّال فكبسوا العسكر المصرىّ فوجدوهم قد حذروهم فعادوا عنهم خاسرين واقام العسكر على دمشق ما بين قوّة وضعف وانتصار وتخاذل حتّى ارسل الملك العادل خلف ولده الملك الكامل محمّد وكان قد رحل عن ماردين على ما نذكره ان شآء الله تعالى وهو بحرّان فاستدعاه اليه بعسكره فسار على طريق البرّ فدخل الى دمشق ثانى عشر صفر سنة ستّ وتسعين وخمسمايّة فعند ذلك رحل العسكر عن دمشق الى نيل جبل الكسوة سابع عشر صفر واستقرّ ان يقيموا بحوران حتّى يخرج الشتآء فرحلوا الى راس المآء وهو موضع شديد البرد فتغيّر العزم عن المقام واتّفقوا على ان يعود كلّ منهم الى بلده فعاد الظاهر صاحب حلب واسد الدين صاحب حمص الى بلادهما وعاد الافضل الى مصر فكان ما نذكره ان شآء الله تعالى ☆

ذكر وفاة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه محمّد

فى هذه [السنة] ثامن عشر ربيع الاخر وقيل جمادى الاولى توفّى ابو يوسف يعقوب بن ابى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب والاندلس بمدينة سلا وكان قد سار اليها من مرّاكش وكان قد بنى مدينة محاذية لسلا وسمّاها المهديّة من احسن البلاد وانزهها فسار اليها يشاهدها فتوفّى بها وكانت ولايته خمس عشرة سنة وكان ذا جهاد للعدوّ ودين وحسن سيرة وكان يتظاهر بمذهب الظاهريّة واعرض عن مذهب مالك فعظم امر الظاهريّة فى ايّامه وكان بالمغرب منهم خلق كثير يقال لهم الجرميّة

منسوبون الى ابن محمّد بن جرم رئيس الظاهريّة الّا انّهم معمورون بالمالكيّة ففى ايّامه ظهروا وانتشروا ثمّ فى اخر ايّامه استقصى الشافعيّة على بعض البلاد ومال اليهم ☆

ذكر عصيان اهل المهديّة على يعقوب وطاعتها لولده محمّد

كان ابو يوسف يعقوب صاحب المغرب لمّا عاد من افريقية كما ذكرناه سنة احدى وثمانين وخمسمائة استعمل ابا سعيد عثمان وابا علىّ يونس بنى عمر ابنتى[1] وهما وابوهما من اعيان الدولة فولّى عثمان مدينة تونس وولّى اخاه المهديّة وجعل قايد الجيش بالمهديّة محمّد بن عبد الكريم وهو شجاع مشهور فعظمت نكايته فى العرب فلم يبق منهم الّا من يخافه فاتّفق انّه اتاه الخبر بانّ طايفة من عوف نازلين بمكان فخرج اليهم وعدل عنهم حتّى جازهم ثمّ اقبل عايدًا يطلبهم واتاهم الخبر بخروجه اليهم فهربوا من بين يديه فلقيهم امامهم فهربوا وتركوا المال والعيال من غير قتال فاخذ الجميع ورجع الى المهديّة وسلّم العيال الى الوالى واخذ من الاسلاب والغنيمة ما شاء وسلّم الباقى الى الوالى والى الجند ثمّ انّ العرب من بنى عوف قصدوا ابا سعيد بن عمر ابنتى[1] فوحّدوا وصاروا من حزب الموحّدين واستجاروا به فى ردّ عيالهم واموالهم فاحضر محمّد بن عبد الكريم وامره باعادة ما اخذ لهم من النعم فقال اخذه الجند ولا اقدر على ردّه فاغلظ له فى القول واراد ان يبطش به فاستمهله الى ان يرجع الى المهديّة ويسترد من الجند ما يجده عندهم وما عدم منه غرم العوض عنه من ماله فامهله فعاد الى المهديّة وهو خايف فلمّا وصلها جمع اصحابه واعلمهم ما كان من ابى سعيد وحالفهم على موافقته فحلفوا له فقبض على ابى علىّ يونس وتغلّب على المهديّة وملكها فارسل اليه ابو سعيد فى معنى اطلاق اخيه يونس فاطلقه على اثنا عشر الف دينار فلمّا ارسلها اليه ابو سعيد فرّقها فى الجند واطلق يونس وجمع ابو سعيد العساكر واراد قصد محاصرته فارسل محمّد بن عبد الكريم الى علىّ بن اسحق الملثّم فحالفه واعتضد به فامتنع ابو سعيد من قصده ومات يعقوب وولى ابنه محمّد فسيّر عسكرًا

---

[1] نيتى (؟)

مع عمّه فى البحر وعسكرًا اخر فى البرّ مع ابن عمّه الحسن ابن ابى حفص بن عبد المؤمن فلمّا وصل عسكر البحر الى بجاية وعسكر البرّ الى قسنطينة الهوى هرب الملثّم ومَن معه من العرب من بلاد افريقية الى الصحرآء ووصل الاسطول الى المهديّة فشكا محمّد بن عبد الكريم ما لقى من ابى سعيد وقال انا على طاعة امير المومنين محمّد ولا اسلمها الى ابى سعيد وانّما اسلمها الى من [يرسله] امير المومنين فارسل محمّد مَن يتسلّمها منه وعاد الى الطاعة ۞

ذكر رحيل عسكر الملك العادل عن ماردين

فى هذه السنة زال الحصار عن ماردين ورحل عسكر الملك العادل عنها مع ولده الملك الكامل وسبب ذلك انّ الملك العادل لمّا حصر[1] ماردين عظم ذلك على نور الدين صاحب الموصل وغيره من ملوك ديار بكر والجزيرة وخافوا ان ملكها لا يُبقى عليهم الّا انّ العجز عن منعه [حملهم][2] على طاعته فلمّا توفّى العزيز صاحب مصر وملك الافضل مصر كما ذكرناه وبينه وبين العادل اختلافٌ فارسل اخذ عسكر مصر من عنده وارسل الى نور الدين صاحب الموصل وغيره من الملوك يدعوهم الى موافقته فاجابوه الى ذلك فلمّا رحل الملك العادل عن ماردين الى دمشق كما ذكرناه برز نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عنها ثانى شعبان وسار الى دنيسر فنزل عليها ووافقه ابن عمّه قطب الدين محمّد بن زنكى بن مودود صاحب سنجار وابن عمّه الاخر سنجر شاه بن غازى بن مودود صاحب جزيرة ابن عمر فاجتمعوا كلّهم بدنيسر الى ان عيّدوا عيد الفطر ثمّ ساروا عنها سادس شوّال ونزلوا بحَرْزَم[3] وتقدّم العسكر الى تحت الجبل ليرتادوا موضعًا للنزول وكان اهل ماردين قد عدمت الاقوات عندهم وكثرت الامراض فيهم حتّى انّ كثيرًا منهم كان لا يطيق القيام فلمّا راى النظام وهو الحاكم فى دولة صاحبها ذلك ارسل الى ابن العادل فى تسليم القلعة اليه الى اجل معلوم ذكره على شرط ان يتركهم يدخل اليهم من الميرة ما يقوتهم حسبُ فاجابهم الى ذلك وتحالفوا عليه ورفعوا اعلامهم الى راس القلعة وجعل ولد العادل بباب القلعة اميرًا لا

[1]) حصر [2]) C. P. [3]) C. P. 740: بحررم Ups.: بحررم

يترك يدخلها من الاطعمة الّا ما يكفيهم يومًا بيوم فاعطى مَن بالقلعة ذلك الامير شيأً فمكّنهم من ادخال الذخاير الكثيرة فبينما هم كذلك اذ اتاهم خبر وصول نور الدين صاحب الموصل فقويت نفوسهم وعزموا على الامتناع فلمّا تقدّم عسكره الى ذيل جبل ماردين قدّر الله تعالى انّ الملك الكامل بن العادل نزل بعسكر من ربض ماردين الى لقآء نور الدين وقتاله ولو اقاموا بالربض لم يمكن نور الدين ولا غيره الصعود اليهم ولا ازالتهم لكن نزلوا ليقضى الله امرًا كان مفعولًا فلمّا انحدروا من الجبل اقتتلوا وكان من عجيب الاتّفاق انّ قطب الدين صاحب سنجار وكان قد واعد العسكر العادلىّ ان ينهزم اذا التقوا ولم يُعلم بذلك احدًا من العسكر فقدّر الله تعالى انّه لمّا نزل العسكر العادلىّ واصطفّت العساكر للقتال لجئت قطب الدين الضرورة بالزحمة الى ان وقف فى سفح بجبل ماردين ليس اليه طريق للعسكر العادلىّ ولا يرى الحرب الواقعة بينهم وبين نور الدين ففاته ما اراده من الانهزام ، فلمّا التقى العسكران واقتتلوا حمل ذلك اليوم نور الدين بنفسه واصطلى الحرب الناس انفسهم بين يديه فانهزم العسكر العادلىّ وصعدوا فى الجبل الى الربض وأُسر منهم كثير فحُملوا الى بين يدى نور الدين فاحسن اليهم ووعدهم الاطلاق اذا انفصلوا ولم يظنّ انّ الملك الكامل ومَن معه يرحلون عن ماردين سريعًا فجآءهم امرٌ لم يكن فى الحساب فانّ الملك الكامل لمّا صعد الى الربض راى اهل القلعة قد نزلوا الى الذين جعلوهم بالربض من العسكر فقاتلوهم ونالوا منهم ونهبوا فالقى الله الرعب فى قلوب الجميع فاعملوا رايهم على مفارقة الربض ليلًا فرحلوا ليلة الاثنين سابع شوّال وتركوا كثيرًا من اثقالهم ورحالهم وما اعدّوه فاخذه اهل القلعة ولو ثبت العسكر العادلى بمكانه لم يمكن احد ان يقرب منهم ولمّا رحلوا نزل صاحب ماردين حسام الدين يولق بن ايلغازى[1] الى نور الدين ثمّ عاد الى حصنه وعاد اتابك الى دنيسر ورحل عنها الى راس عين على عزم قصد حرّان وحصرها فاتاه رسولٌ من الملك الظاهر يطلب الخطبة والسكّة وغير ذلك فتغيّرت نيّة نور الدين وفتر عزمه عن حصرها

---

[1] يولق بن ايلغاى (؟

فعزم على العود الى الموصل فهو يقدّم الى العود رجلًا ويوخّر اخرى اذ اصابه مرض فتحقّق عزم العود الى الموصل فعاد اليها وارسل رسولًا الى الملك الافضل والملك الظاهر يعتذر عن عوده بمرضه فوصل الرسول ثانى ذى الحجّة اليهم وهم على دمشق وكان عود نور الدين من سعادة الملك العادل فانّه كان هو وكلّ مَن عنده ينتظرون ما يجئ من اخباره فانّ مَن بحرّان استسلموا فقدّر الله تعالى انّه عاد فلمّا عاد جآء الملك الكامل الى حرّان وكان قد سار على ماردين الى ميّافارقين فلمّا رجع نور الدين سار الكامل الى حرّان وسار الى ابيه بدمشق على ما ذكرناه فازداد به قوّة والافضل ومَن معه ضعفًا ۞

ذكر الفتنة بفيروزكوه من خراسان

فى هذه السنة كانت فتنة عظيمة بعسكر غياث الدين ملك الغور وغزنة وهو بفيروزكوه عمّت الرعيّة والملوك والامرآء وسببها انّ الفاخر محمّد بن عمر بن الحسين الرازىّ الامام المشهور الفقيه الشافعىّ كان قدم الى غياث الدين مفارقًا لبهآء الدين سام[1] صاحب باميان وهو ابن اخت غياث الدين فاكرمه غياث الدين واحترمه وبالغ فى اكرامه وبنى له مدرسة بهراة بالقرب من الجامع فقصده الفقهآء من البلاد فعظم ذلك على الكراميّة وهم كثيرون بهراة واما الغوريّة فكلّهم كراميّة وكرهوه وكان اشدّ الناس عليه الملك ضيآء الدين وهو ابن عمّ غياث الدين وزوج ابنته فاتّفق ان حضر الفقهآء من الكراميّة والحنفيّة والشافعيّة عند غياث الدين بفيروزكوه للمناظرة وحضر فخر الدين الرازىّ والقاضى مجد الدين عبد المجيد بن عمر[2] المعروف بالقدوة وهو من الكراميّة الهيصميّة[3] وله عندهم محلّ كبير لزهده وعلمه وبيته فتكلّم الرازىّ فاعترض عليه ابن القدوة وطال الكلام فقام غياث الدين فاستطال عليه الفاخر وسبّه وشتمه وبالغ فى اذاه وابن القدوة لا يزيد على ان يقول لا يفعل مولانا الّا[4] واخذك الله استغفر الله فانفصلوا على هذا وقام ضيآء الدين فى هذه الحادثة وشكى الى غياث الدين وذمّ الفاخر ونسبه الى الزندقة ومذهب الفلاسفة فلم يصغ

سامه (1 عم (2 الهيصمية (3 لا (4

غياث الدين اليه فلمّا كان الغد وعظ ابن عمر[1] المجد بن القدوة بالجامع فلمّا صعد المنبر قال بعد ان حمد الله وصلّى على النبيّ صلّعم لا اله الّا الله ربّنا امنّا بما انزلتَ واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ، ايّها الناس انّا لا نقول الّا ما صحّ عندنا عن رسول الله صلّعم وامّا علم ارسطاطاليس وكفريّات ابن سينا وفلسفة الفارابيّ فلا نعلمها فلاىّ حال يُشتم بالامس شيخ من شيوخ الاسلام ويذبّ عن دين الله وعن سنّة نبيّه وبكى وضجّ الناس وبكى الكراميّة واستغاثوا واعانهم من يوثر بُعد الفخر الرازىّ عن السلطان وثار الناس من كلّ جانب وامتلأ البلد فتنة وكادوا يقتتلون ويجرى ما يهلك فيه خلق كثير فبلغ ذلك السلطانَ فارسل جماعة من عنده الى الناس وسكّنهم ووعدهم باخراج الفخر من عندهم وتقدّم اليه بالعود الى هراة فعاد اليها ۞

ذكر مسير خوارزم شاه الى الرىّ

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل سار خوارزم شاه علاء الدين تكش الى الرىّ وغيرها من بلاد الجبل لانّه بلغه انّ نايبه بها مياجق قد تغيّر عن طاعته فسار اليه فخافه مياجق فجعل يفرّ من بين يديه وخوارزم شاه فى طلبه يدعوه الى الحضور عنده وهو يمتنع فاستامن اكثر اصحابه الى خوارزم شاه وهرب هو فحصل بقلعة من اعمال مازندران[2] فامتنع بها فسارت العساكر فى طلبه فأُخذ منها واحضر بين يدى خوارزم شاه فامر بحبسه بشفاعة اخيه اقتجة ، وسُيّرت الخلع من الخليفة لخوارزم شاه ولولده قطب الدين محمّد وتقليد بما بيده من البلاد فلبس الخلعة واشتغل بقتال الملاحدة فافتتح قلعة على باب قزوين تسمّى ارسلان كشاه[3] وانتقل الى حصار أَلَمُوت فقُتل عليها صدر الدين محمّد بن الوزان رئيس الشافعيّة بالرىّ وكان قد تقدّم عنده تقدّمًا عظيمًا قتله الملاحدة وعاد خوارزم شاه الى خوارزم فوثب الملاحدة على وزيره نظام المُلك مسعود بن علىّ فقتلوه فى جمادى الاخرة سنة ثلاث وتسعين فامر تكش ولده قطب الدين بقصد الملاحدة فقصد قلعة ترشيش[4] وهى من قلاعهم فحصرها فاذعنوا له

---

[1]) عم Ups.: شاه [2]) بازندران
[3]) C. P. 740: كساه Ups.: برشيش [4]) C. P. 740: درسمش

بالطاعة وصالحوه على مائة الف دينار ففارقها وانّما صالحهم لانّه بلغه خبر مرض ابيه وكانوا يراسلونه بالصلح فلا يفعل فلمّا سمع بمرض ابيه لم يرحل حتّى صالحهم على المال المذكور والطاعة ورحل ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل توفّى مجاهد الدين قايماز رحمه الله بقلعة الموصل وهو الحاكم فى دولة نور الدين والمرجوع اليه فيها وكان ابتدآء ولايته قلعة الموصل فى ذى الحجّة سنة احدى وسبعين وخمسمائة وولى اربل سنة تسع [وخمسين] وخمسماية فلمّا مات زين الدين علىّ كوكج سنة ثلاث وستّين بقى هو الحاكم فيها ومعه من يختاره من اولاد زين الدين ليس لواحد منهم معه حكم وكان عاقلًا اديبًا خبيرًا فاضلًا يعرف الفقه على مذهب ابى حنيفة ويحفظ من التاريخ والاشعار والحكايات شيأً كثيرًا وكان كثير الصوم يصوم من كلّ سنة نحو اربعة اشهر وله اوراد كثيرة حسنة كلّ ليلة ويكثر الصدقة وكان له فراسة حسنة فيمن يستحقّ الصدقة ويعرف الفقير المستحقّ ويبرّهم وبنى عدّة جوامع منها الجامع الذى بظاهر الموصل بباب الجسر وبنى الرُّبط والمدارس والخانات فى الطرق وله من المعروف شئ كثير رحمه الله فلقد كان من محاسن الدنيا ، وفيها فارق غياث الدين صاحب غزنة وبعض خراسان مذهب الكراميّة وصار شافعىّ المذهب وكان سبب ذلك انّه كان عبده انسان يعرف بالفخر مبارك شاه يقول الشعر بالفارسيّة متفنّنًا فى كثير من العلوم فاوصل الى غياث الدين الشيخ وجيه الدين ابا الفتح محمّد بن محمود المرورونذىّ[1] الفقيه الشافعىّ فاوضح له مذهب الشافعىّ وبيّن له فساد مذهب الكراميّة فصار شافعيًّا وبنى المدارس للشافعيّة وبنى بغزنة مسجدًا لهم ايضًا واكثر مراعاتهم فسعى الكراميّة فى اذى وجيه الدين فلم يقدّرهم الله تعالى على ذلك ، وقيل انّ غياث الدين واخاه شهاب الدين لمّا ملكا فى خراسان قيل لهما انّ الناس فى جميع البلاد يزورون على الكراميّة ويحتقرونهم والراى ان تفارقوا مذاهبهم فصارا شافعيّين وقيل انّ شهاب الدين كان حنفيًّا والله

---

[1] المرزوذى

اعلم ، وفى هذه السنة توفّى ابو القاسم يحى بن علىّ بن فضلان الفقيه الشافعىّ وكان اماما فاضلا ودرّس ببغداد وكان من اعيان اصحاب [محمّد بن يحيى][1] نجى النيسابورىّ ۞

سنة ٥٩٦ ثم دخلت سنة ستّ وتسعين وخمسمائة ،

ذكر مُلك العادل الديار المصريّة

قد ذكرنا سنة خمس وتسعين حصر الافضل والظاهر ولدى صلاح الدين دمشق ورحيلهما الى راس الماء على عزم المقام بحوران الى ان يخرج الشتاء فلمّا اقاموا براس الماء وجد العسكر بردا شديدا لانّ البرد فى ذلك المكان فى الصيف موجود فكيف فى الشتاء فتغيّر العزم على المقام واتّفقوا على ان يعود كلّ انسان منهم الى بلده ويعودوا الى الاجتماع فتفرّقوا تاسع ربيع الاوّل فعاد الظاهر وصاحب حمص الى بلادهما وسار الافضل الى مصر فوصل بلبيس فاقام بها ووصلته الاخبار بانّ عمّه الملك العادل قد سار من دمشق قاصدا مصر ومعه المماليك الناصريّة وقد حلّفوه على ان يكون ولد الملك العزيز هو صاحب البلاد وهو المدبّر للملك الى ان يكبر فساروا على هذا وكان عسكره بمصر قد تفرّق عن الافضل من الخشبى فسار كلّ منهم الى اقطاعه ليربعوا دوابّهم فرام الافضل جمعهم من اطراف البلاد فاعجله الامر عن ذلك ولم يجتمع منهم الّا طايفة يسيرة ممّن قرب اقطاعه ووصل العادل فاشار بعض الناس على الافضل ان يخرّب سور بلبيس ويقيم بالقاهرة واشار غيرهم بالتقدّم الى اطراف البلاد ففعل ذلك فسار عن بلبيس ونزل موضعا يقال له السايح فى طرف البلاد والتقى هو والعادل سابع ربيع الاخر فانهزم الافضل ودخل القاهرة ليلا وفى تلك الليلة توفّى القاضى الفاضل عبد الرحيم بن علىّ البيسانىّ كاتب الانشاء لصلاح الدين ووزيره فحضر الافضل الصلاة عليه ، وسار العادل فنزل على القاهرة وحصرها فجمع الافضل مَن عنده من الامراء واستشارهم فراى منهم تخاذلا فارسل رسولا الى عمّه فى الصلح وتسليم البلاد اليه واخذ العوض عنها وطلب دمشق فلم يجبه العادل فنزل عنها [الى] حرّان

[1]) 740.

والرُّها فلم يجبه فنزل الى ميّافارقين وحانى وجبل جور فاجابه الى ذلك وتحالفوا عليه وخرج الافضل من مصر ليلة السبت ثامن عشر ربيع الاخر واجتمع بالعادل وسار الى صرخد ودخل العادل الى القاهرة يوم السبت ثامن عشر ربيع الاخر ولمّا وصل الافضل الى صرخد ارسل مَن تسلّم ميّافارقين وحانى وجبل جور فامتنع نجم الدين ايّوب بن الملك العادل من تسليم ميّافارقين وسلّم ما عداها فتردّدت الرسل بين الافضل والعادل فى ذلك والعادل يزعم انّ ابنه عصاه فامسك عن المراسلة فى ذلك لعلمه انّ هذا فعل بامر العادل ، ولمّا ثبت قدم العادل بمصر قطع خطبة الملك المنصور بن الملك العزيز فى شوّال من السنة وخطب لنفسه وحاقق الجند فى اقطاعاتهم واعترضهم فى اصحابهم ومَن عليهم من العسكر المقرّر فتغيّرت لذلك نيّاتهم فكان ما نذكره سنة سبع وتسعين ان شآء الله ۞

ذكر وفاة خوارزم شاه

فى هذه السنة فى العشرين من رمضان توفّى خوارزم شاه تكش بن ايل[1] ارسلان صاحب خوارزم وبعض خراسان والرىّ وغيرها من البلاد الجباليّة بشهرستانة بين نيسابور وخوارزم وكان قد سار من خوارزم الى خراسان وكان به خوانيق فاشار عليه الاطبّآء بترك الحركة فامتنع وسار فلمّا بلغ شهرستانة اشتدّ مرضه ومات ولمّا اشتدّ مرضه ارسلوا الى ابنه قطب الدين محمّد يستدعونه ويعرّفونه شدّة مرض ابيه فسار اليهم وقد مات ابوه فولى الملك بعده ولُقّب علآء الدين لقب ابيه وكان لقبه قطب الدين وأمر فحُمل ابوه ودُفن بخوارزم فى تربة عملها فى مدرسة بناها كبيرة عظيمة وكان عادلًا حسن السيرة له معرفة حسنة وعلم يعرف الفقه على مذهب ابى حنيفة ويعرف الاصول ، وكان ولده علىّ شاه باصفهان فارسل اليه اخوه خوارزم شاه محمّد يستدعيه فسار اليه فنهب اهل اصفهان خزانته ورحله فلمّا وصل الى اخيه ولّاه حرب خراسان والتقدّم على جندها وسلّم اليه نيسابور وكان هندوخان ملكشاه بن خوارزم شاه تكش يخاف عمّه محمّدًا فهرب منه ونهب كثيرًا من خزاين جدّه تكش لمّا مات وكان

---

[1] الب

معه وسار الى مرو ولمّا سمع غياث الدين ملك غزنة وفاة خوارزم شاه امر ان لا تضرب نوبته ثلاثة ايّام وجلس للعزآء على ما بينهما من العداوة والمحاربة فعل ذلك عقلًا منه ومروّة ، ثمّ انّ هندوخان جمع جمعًا كثيرًا بخراسان فسيّر اليه عمّه خوارزم شاه جيشًا مقدّمهم جقر التركىّ فلمّا سمع هندوخان بمسيرهم هرب عن خراسان وسار الى غياث الدين يستنجده على عمّه فاكرم لقآءه وانزاله واقطعه ووعده النصرة فاقام عنده ودخل جقر مدينة مرو وبها والدة هندوخان واولاده فاستظهر عليهم واعلم صاحبه فامره بارسالهم الى خوارزم مكرمين فلمّا سمع غياث الدين ذلك ارسل الى محمّد بن جربك[1] صاحب الطالقان يامره ان يرسل جقر يتهدّده ففعل وسار من الطالقان فاخذ مرو الروذ[2] والخمس قُرى وتسمّى بالفارسيّة بنج ده وارسل الى جقر يامره باقامة الخطبة بمرو لغياث الدين او يفارق البلد فاعاد الجواب يتهدّد ابن جربك[1] ويتوعّده وكتب اليه سرًّا يساله ان ياخذ له امانًا من غياث الدين ليحضر خدمته فكتب الى غياث الدين بذلك فلمّا قرأ كتابه علم انّ خوارزم شاه ليس له قوّة فلهذا طلب جقر الاجياز اليه فقوى طمعه فى البلاد وكتب الى اخيه شهاب الدين يامره بالخروج الى خراسان ليتّفقا على اخذ بلاد خوارزم شاه محمّد ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة وثب الملاحدة الاسماعيليّة على نظام الملك مسعود بن علىّ وزير خوارزم شاه تكش فقتلوه وكان صالحًا كثير الخير حسن السيرة شافعىّ المذهب بنى للشافعيّة بمرو جامعًا مشرفًا على جامع الحنفيّة[3] فتعصّب شيخ الاسلام وهو مقدّم الحنابلة بها فيهم والرياسة وجمع الاوباش فاحرقه[4] فانفذ خوارزم شاه فاحضر شيخ الاسلام وجماعة ممّن سعى فى ذلك فاغرمهم مالًا كثيرًا وبنى الوزير ايضًا مدرسة عظيمة بخوارزم وجامعًا وجعل فيها خزانة كتب وله اثار حسنة بخراسان باقية ولمّا مات خلف ولدًا صغيرًا فاستوزره خوارزم شاه رعاية لحقّ ابيه فاشير عليه ان يستعفى فارسل يقول انّنى صبىّ لا اصلح لهذا المنصب الجليل فيولى السلطان

---

[1]) حربك

[2]) 740 addit: ودره الروذ et Ups.: ودة

[3]) 740. Ups.: لجامعه

[4]) باجرقه

فيه من يصلح له الى ان اكبر فان كنتُ اصلح فانا المملوك فقال خوارزم شاه لستُ اعفيك وانا وزيرك فكن راجعنى فى الامور فانّه لا يقف منها شئ فاستحسن الناس هذا ثمّ انّ الصبىّ لم تطلْ ايّامه فتوفّى قبل خوارزم شاه بيسير ٭ وفى هذه السنة فى ربيع الاوّل توفّى شيخنا ابو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهّاب ابن كليب الحرّانىّ المقيم ببغداد وله ستّ وتسعون سنة وشهران وكان عالى الاسناد فى الحديث وكان ثقة صحيح السماع ٭ وفى ربيع الاخر منها توفّى القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانىّ الكاتب لم يكن فى زمانه احسن كتابة منه ودُفن بظاهر مصر بالقرافة وكان ديّنًا كثير الصدقة والعبادة وله وقوف كثيرة على الصدقة وفكّ الاسارى وكان يكثر الحجّ والمجاورة مع اشتغاله بخدمة السلطان وكان السلطان صلاح الدين يعظمه ويحترمه ويكرمه ويرجع الى قوله رحمهما الله ۞

ثمّ دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة ٭ سنة ٥٩٧

ذكر مُلك الملك الظاهر صاحب حلب منبج وغيرها من الشام وحصره هو واخوه الافضل مدينة دمشق وعودهما عنها

قد ذكرنا قبلُ مُلك العادل ديار مصر وقطعه خطبة الملك المنصور ولد الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن ايّوب وانّه لمّا فعل ذلك لم يرضه الامرآء المصريّون وخبثت نيّاتهم فى طاعته فراسلوا اخوته الظاهر بحلب والافضل بصرخد وتكرّرت المكاتبات والمراسلات بينهم يدعونهما الى قصد دمشق وحصرها ليخرج الملك العادل اليهم فاذا خرج اليهم [من] مصر اسلموه وصاروا معهما فيملكا البلاد وكثر ذلك حتّى فشا الخبر واتّصل بالملك العادل وانضاف الى ذلك انّ النيل لم يزد بمصر الزيادة التى تركب الارض ليزرع الناس فكثر الغلآء فضعفت قوّة الجند وكان فخر الدين جهاركس قد فارق مصر الى الشام هو وجماعة من المماليك الناصريّة لحصار بانياس ليأخذها لنفسه بامر العادل وكانت لامير كبير تركىّ اسمه بشارة قد اتّهمه العادل فامر جهاركس بذلك وكان امير من امرآء العادل يعرف بعزّ الدين اسامة قد حجّ هذه السنة فلمّا عاد من الحجّ وقارب صرخد نزل الملك الافضل فلقيه واكرمه ودعاه الى نفسه فاجابه وحلف له

وعرّفه الافضل جليّة الحال وكان اسامة من بطانة العادل وانّما حلف ليتكشف
له الامر فلمّا فارق الافضل ارسل الى العادل وهو بمصر يُعرّفه الخبر جميعه
فارسل الى ولده الذى بدمشق يامره بحصر الافضل بصرخد وكتب الى
اياس جركس وميمون القصرىّ صاحب بلبيس وغيرهما من الناصريّة يامرهم
بالاجتماع مع ولده على حصر الافضل ، وسمع الافضل الخبر فسار الى اخيه
الظاهر بحلب مستهلّ جمادى الاولى من السنة ووصل الى حلب عاشر الشهر
وكان الظاهر قد ارسل اميرًا كبيرًا من امرآيه الى عمّه العادل فمنعه العادل
من الوصول اليه وامره بان يكتب رسالته فلم يفعل وعاد لوقته فتحرّك
الظاهر لذلك وجمع عسكره وقصد منبج فلكها للسادس والعشرين من رجب
وسار الى قلعة نجم وحصرها فتسلّمها سلخ رجب ، واما الملك المعظم عيسى
بن العادل المقيم بدمشق فانّه سار الى بُصرى وارسل الى جهاركس ومَن
معه وهم على بانياس يحصرونها يدعوهم اليه فلم يجيبوه الى ذلك بل غالطوه
فلمّا طال مقامه على بُصرى عاد الى دمشق وارسل الامير اسامة اليهم
يدعوهم الى مساعدته فاتّفق انّه جرى بينه وبين البكآء الفارس بعض المماليك
الكبار الناصريّة منافرة اغلظ له البكآء القول وتعدّى الى الفعل باليد وثار
العسكر جميعه على اسامة فاستذمّ بميمون فامّنه واعاده الى دمشق واجتمعوا
كلّهم عند الملك الظافر خضر بن صلاح الدين وانزلوه من صرخد وارسلوا
الى الملك الظاهر والافضل يحثّونهما على الوصول اليهم والملك الظاهر يتربّص
ويتعوّق فوصل من منبج الى حماة فى عشرين يومًا واقام على حماة يحصرها
وبها صاحبها ناصر الدين محمّد بن تقى الدين الى تاسع عشر شهر
رمضان فاصطلحا وحمل له ابن تقى الدين ثلاثين الف دينار صوريّة
وساروا عنها الى حمص وسار منها الى دمشق على طريق بعلبك فنزلوا
عليها عند مسجد القدم فلمّا نزلوا على دمشق اتاهم المماليك الناصريّة مع
الملك الظافر خضر بن صلاح الدين وكانت القاعدة استقرّت بين الظاهر
واخيه الافضل انّهم اذا ملكوا دمشق تكون بيد الافضل ويسيرون الى
مصر فاذا ملكوها تسلّم الظاهر دمشق فيبقى الشام جميعه له وتبقى مصر
للافضل وسلّم الافضل صرخد الى زين الدين قراجة مملوك والده لتحصر
فى خدمته وانزل والدته واهله منها وسيّرهم الى حمص فاقاموا عند اسد

الدين شيركوه صاحبها وكان الملك العادل قد سار من مصر الى الشام فنزل [على] مدينة نابلس وسيّر جمعًا من العسكر الى دمشق ليحفظها فوصلوا قبل وصول الظاهر والافضل وحصر فخر الدين جهاركس وغيره من الناصريّة فوصلوا قبل وصول الظاهر والافضل وزحفوا الى دمشق وقاتلوها رابع عشر ذى القعدة واشتدّ القتال عليها فالتصق الرجال بالسور فادركهم الليل فعادوا وقد قوى الطمع فى اخذها ثمّ زحفوا اليها مرّة ثانية وثالثة فلم يبق الّا مُلكها لانّ العسكر صعد الى سطح خان ابن المقدّم وهو ملاصق السور فلو لم يدركهم الليل لملكوا البلد فلمّا ادركهم الليل وهم عازمون على الزحف بكرة وليس لهم عن البلد مانع حسد الظاهر اخاه الافضل فارسل اليه يقول له تكون دمشق له وبيده ويُسير العساكر معه الى مصر فقال له الافضل قد علمتُ انّ والدتى واهلى وهم اهلك ايضًا على الارض ليس لهم موضع ياوون اليه فاحسب انّ هذا البلد لك تعيرنا هو ليسكنه اهلى هذه المدّة الى ان يملك مصر فلم يجبه الظاهر فى ذلك ولجّ فلمّا راى الافضل ذلك للحال قال للناصريّة وكلّ من جآء اليهم من الجند ان كنتم جئتم انّى فقد اذنتُ لكم فى العود الى العادل وان كنتم جئتم الى اخى الظاهر فانتم وهو اخبرُ وكان الناس كلّهم يريدون الافضل فقالوا ما نريد سواك والعادل احبّ الينا من اخيك فاذن لهم فى العود فهرب فخر الدين جهاركس وزين الدين قراجة الذى اعطاه الافضل صرخد فمنهم مَن دخل دمشق ومنهم مَن عاد الى اقطاعه فلمّا انفسخ الامر عليهم عادوا الى تجديد الصلح مع العادل فتردّدت الرسل بينهم واستقرّ الصلح على ان يكون للظاهر منبج وافامية وكفرطاب وقُرًى معيّنة من المعرّة ويكون للافضل سميساط وسروج وراس العين وحملين ورحلوا عن دمشق اوّل المحرّم سنة ثمان وتسعين فقصد الافضل حمص فاقام بها وسار الظاهر الى حلب ووصل العادل الى دمشق تاسع المحرّم وسار الافضل اليه من حمص فاجتمع به بظاهر دمشق وعاد من عنده الى حمص وسار منها ليتسلّم سميساط فتسلّمها وتسلّم باقى ما استقرّ له براس العين وسروج وغيرها ☆

ذكر مُلك غياث الدين واخيه ما كان لخوارزم شاه بخراسان

قد ذكرنا مسير محمّد بن خرميل[1] من الطالقان واستيلآه على مرورود وسؤال جقر التركىّ نايب علآء الدين محمّد خوارزم شاه بمرو ان يكون فى جملة عسكر غياث الدين ولمّا وصل كتاب ابن خرميل[1] الى غياث الدين فى معنى جقر علم انّ هذا انّما دعاه الى الانتمآء اليهم ضعف صاحبه فارسل الى اخيه شهاب الدين يستدعيه الى خراسان فسار من غزنة فى عساكره وجنوده وعدّته وما يحتاج اليه ، وكان بهراة الامير عمر بن محمّد المرغنىّ[2] نايبًا عن غياث الدين وكان يكره خروج غياث الدين الى خراسان فاحضره غياث الدين واستشاره فاشار بالكفّ عن قصدها وترك المسير اليها فانكر عليه ذلك واراد ابعاده عنه ثمّ تركه ووصل شهاب الدين فى عساكره وعساكر سجستان وغيرها فى جمادى الاولى من هذه السنة فلمّا وصلوا الى ميمنة وهى قرية بين الطالقان وكرزبان[3] وصل الى شهاب الدين كتاب جقر مستحفظ مرو يطلبه ليسلّمها اليه فاستاذن اخاه غياث الدين فاذن له فسار اليها فخرج اهلها مع العسكر الخوارزمىّ وقاتلوه فامر اصحابه بالحملة عليهم والجدّ فى قتالهم فحملوا عليهم فادخلوهم البلد وزحفوا بالفيلة الى ان قاربوا السور فطلب اهل البلد الامان فامّنهم وكفّ الناس عن التعرّض اليهم وخرج جقر الى شهاب الدين فوعده الجميل ثمّ حضر غياث الدين الى مرو بعد فتحها فاخذ جقر وسيّره الى هراة مكرمًا وسلّم مرو الى هندوخان بن ملكشاه بن خوارزم شاه تكش وقد ذكرنا هربه من عمّه خوارزم شاه محمّد بن تكش الى غياث الدين ووصّاه بالاحسان الى اهلها ثمّ سار غياث الدين الى مدينة سرخس فاخذها صلحًا وسلّمها الى الامير زنكى بن مسعود وهو من اولاد عمّه واقطعه معها نَسَا وابيورد ثمّ سار بالعساكر الى طوس فاراد الامير الذى بها ان يمتنع فيها ولا يسلّمها فاغلق باب البلد ثلاثة ايّام فبلغ الخبز ثلاثة أمنًا بدينار ركنىّ فضجّ اهل البلد عليه فارسل الى غياث الدين يطلب الامان فامّنه فخرج اليه فخلع عليه وسيّره الى هراة ولمّا ملكها ارسل الى علىّ شاه بن خوارزم شاه تكش وهو نايب اخيه علآء الدين محمّد

---

[1]) خرميل [2]) المرغنى [3]) وخرربان

بنيسابور يامره بمفارقة البلد وبحذره ان اقام سطوة اخيه شهاب الدين وكان مع علىّ شاه عسكر من خوارزم شاه فاتفقوا على الامتناع من تسليم البلد وحصره وخربوا ما بظاهره من العمارة وقطعوا الاشجار وسار غياث الدين الى نيسابور فوصل اليها اوايل رجب وتقدّم عسكر اخيه شهاب الدين الى المقتال فلمّا راى غياث الدين ذلك قال لولده محمود قد سَبَقَنا عسكر غزنة بفتح مرو وهم يريدون يفتحون نيسابور فيحصلون بالاسم فاحمل الى البلد ولا ترجع حتّى تصل السور فحمل وحمل معه وجوه الغوريّة فلم يردّهم احد من السور حتّى اصعدوا عَلَم غياث الدين اليه فلمّا راى شهاب الدين عَلَم اخيه على السور قال لاصحابه اقصدوا بنا هذه الناحية واصعدوا السور من هاهنا واشار الى مكان فيه فسقط السور منهدمًا فصيح الناس بالتكبير ودهل الخوارزميّون واهل البلد ودخل الغوريّة البلد وملكوه عنوةً ونهبوه ساعة من نهار فبلغ الخبر الى غياث الدين فامر بالندآء مَن نهب مالاً او اذى احدًا فدمه حلال فاعاد الناس ما نهبوه عن اخره ، ولقد حدّثنى بعض اصدقآينا من التجار وكان بنيسابور فى هذه الحادثة نُهب من متاعى شئ من جملته سكر فلمّا سمع العسكر الندآء ردّوا جميع ما اخذوا منّى وبقى لى بساط وشئ من السكر مع جماعة فطلبتُه منهم فقالوا امّا السكر فاكلناه فسالتك ألّا يسمع احد وان اردتَ ثمنه اعطيناك ، فقلتُ انتم فى حلّ منه ولم يكن البساط مع اوليك قال فمشيتُ الى باب البلد مع النظارة فرايتُ البساط الذى لى قد أُلقى عند باب البلد لم يجسر احد ياخذه فاخذتُه وقلتُ هذا لى فطلبوا منّى مَن يشهد به فاحضرتُ مَن شهد لى واخذتُه ، ثمّ انّ الخوارزميّين تحصّنوا بالجامع فاخرجهم اهل البلد فاخذهم الغوريّة ونهبوا ما لهم وأُخذ علىّ شاه بن خوارزم شاه وأُحضر عند غياث الدين راجلًا فانكر ذلك على من احضره وعظم الامر فيه وحضرت دابّة كانت لعلىّ شاه وقال لغياث الدين اهكذا يُفعل باولاد الملوك فقال لا بل هكذا واخذ بيده واقعده معه على السرير وطيّب نفسه وسيّر جماعة الامرآء الخوارزميّة الى هراة تحت الاستظهار واحضر غياث الدين ابن عمّه وصهره على ابنته ضيآء الدين محمّد بن آتى الغورىّ وولّاه حرب خراسان وخراجها ولقّبه علآء

الدين وجعل معه وجوه الغوريّة ورحل الى هراة وسلّم علىّ شاه الى اخيه شهاب الدين واحسن الى اهل نيسابور وفرّق فيهم مالًا كثيرًا ثمّ رحل بعده شهاب الدين الى ناحية قهستان فوصل الى قرية فذُكر له انّ اهلها اسماعيليّة فامر بقتل المقاتلة ونهب الاموال وسبى الذرارى وخرّب القرية فجعلها خاوية على عروشها ثمّ سار الى كناباد[1] وهى من المدن التى جميع اهلها اسماعيليّة فنزل عليها وحصرها فارسل صاحب قهستان الى غياث الدين يشكوا اخاه شهاب الدين ويقول بيننا عهدٌ فما الذى بدا منّا حتّى تحاصر بلدى واشتدّ خوف الاسماعيليّة الذين بالمدينة من شهاب الدين فطلبوا الامان ليخرجوا منه فامّنهم واخرجهم وملك المدينة وسلّمها الى بعض الغوريّة فاقام بها الصلوات وشعار الاسلام ورحل شهاب الدين فنزل على حصن اخر للاسماعيليّة فوصل اليه رسول اخيه غياث الدين فقال الرسول معى تقدّمٌ من السلطان فلا يجرى حربٌ ان فعلتُه فقال لا ارحل قال اذن افعل ما امرنى قال افعل فسلّ سيفه وقطع اطناب سرادق شهاب الدين وقال ارحل بتقدّم السلطان فرحل شهاب الدين والعسكر وهو كاره الى بلد الهند ولم يُقم بغزنة غضبًا لما فعله اخوه معه ☆

ذكر قصد نور الدين بلاد العادل والصلح بينهما

فى هذه السنة ايضًا تجهّز نور الدين ارسلان صاحب الموصل وجمع عساكره وسار الى بلاد الملك العادل بالجزيرة حرّان والرُّها وكان سبب حركته انّ الملك العادل لمّا ملك مصر على ما ذكرناه قبلُ اتّفق نور الدين والملك الظاهر صاحب حلب وصاحب ماردين وغيرهما على ان يكونوا يدًا واحدة متّفقين على منع العادل عن قصد احدهم فلمّا تجدّد حركة الافضل والظاهر ارسلان الى نور الدين ليقصد البلاد الجزريّة فسار عن الموصل فى شعبان من هذه السنة وسار معه ابن عمّه قطب الدين محمّد بن عماد الدين زنكى صاحب سنجار ونصيبين وصاحب ماردين ووصل الى راس العين وكان الزمان قيظًا فكثرت الامراض فى عسكره وكان بحرّان ولدُ العادل يُلقّب بالملك الفايز ومعه عسكر يحفظ البلاد فلمّا وصل نور

---

[1]) C. P.: كناباد 740: كماباد Ups.: كهاباد

الدين الى راس العين جآءت رسل الفايز ومَن معه من اكابر الامرآء يطلبون الصلح ويرغبون فيه وكان نور الدين قد سمع بانّ الصلح بدا يتمّ بين الملك العادل والملك الظاهر والافضل وانصاف الى ذلك كثرة الامراض فى عسكره فاجاب اليه وحلّف الملك الفايز ومَن عنده من اكابر الامرآء على القاعدة التى استقرّت وحلفوا انّهم يحلّفون الملك العادل له فان امتنع كانوا معه عليه وحلف هو للملك العادل وسارت الرسل من عنده ومن عند ولده فى طلب اليمين من العادل فاجاب الى ذلك وحلف له واستقرّت القاعدة وامنت البلاد وعاد نور الدين الى الموصل فى ذى القعدة من السنة ☆

ذكر مُلك شهاب الدين نهرواله[1]

لمّا سار شهاب الدين من خراسان على ما ذكرناه لم يُقم بغزنة وقصد بلاد الهند وارسل مملوكه قطب الدين ايبك الى نهرواله[1] فوصلها سنة ثمان وتسعين فلقيه عسكر الهنود فقاتلوه قتالاً شديدًا فهزمهم ايبك واستباح معسكرهم وما لهم فيه من الدوابّ وغيرها وتقدّم الى نهرواله[1] فملكها عنوة وهرب ملكها فجمع وحشد فكثر جمعه وعلم شهاب الدين انّه لا يقدر على حفظها الّا بان يقيم هو فيها ويخليها من اهلها ويتعذّر عليه ذلك فانّ البلد عظيم هو اعظم بلاد الهند واكثرهم اهلًا فصالح صاحبها على مال يؤدّيه اليه عاجلًا وآجلًا واعاد عساكره عنها وسلّمها الى صاحبها ☆

ذكر مُلك ركن[2] الدين ملطيّة من اخيه وارزن الروم

فى هذه السنة فى شهر رمضان ملك ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان مدينة ملطيّة وكانت لاخيه معزّ الدين قيصر شاه فسار اليه وحصره ايّامًا وملكها وسار منها الى ارزن الروم وكانت لولد الملك بن محمّد بن صلتق وهم بيتٌ قد ملكوا هذه ارزن الروم مدّة طويلة فلمّا سار اليها وقاربها خرج صاحبها اليه ثقة به ليقرّر معه الصلح على قاعدة يوثرها ركن الدين فقبض عليه واعتقله عنده واخذ البلد وكان هذا اخر اهل بيته ملكوا فتبارك الله الحىّ القيوم الذى لا يزول ملكه ابدًا سرمدًا ☆

---

1) 740. C. P.: نهرواره Ups.: نهرواكه 2) نور

ذكر وفاة سقمان صاحب آمد وملك اخيه محمود

في هذه السنة توفي قطب الدين سقمان بن محمّد بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان صاحب آمد وحصن كيفا سقط من سطح جوسق كان له بظاهر حصن كيفا فمات وكان شديد الكراهة لهذا اخيه والنفور عنه قد ابعده وانزله حصن منصور في اخر بلادهم واتخذ مملوكًا اسمه اياس فزوّجه اخته واحبّه حُبًّا شديدًا وجعله ولي عهده فلمّا توفي ملك بعده عدّة ايّام وتهدّد وزيرًا كان لقطب الدين وغيره من امرآء الدولة فارسلوا الى اخيه محمود سرًّا يستدعونه فسار مجدًّا فوصل الى آمد وقد سبقه اليها اياس مملوك اخيه فلم يقدم على الامتناع فتسلّم محمود البلاد جميعها وملكها وحبس المملوك فبقي مدّة محبوسًا ثمّ شفع له صاحب بلاد الروم فأُطلق من الحبس وسار الى الروم فصار اميرًا من امرآء الدولة ☆

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة اشتدّ الغلآء بالبلاد المصريّة لعدم زيادة النيل وتعذّرت الاقوات حتّى اكل الناس الميتة واكل بعضهم بعضًا ثمّ لحقهم عليه وبآء وموت كثير افنى الناس ، وفي شعبان منها تزلزلت الارض بالموصل وديار الجزيرة كلّها والشام ومصر وغيرها فاثّرت في الشام اثارًا قبيحة وخرّبت كثيرًا من الدور بدمشق وحمص وحماة وانخسفت قرية من قرى بُصرى واثّرت في الساحل الشامي اثرًا كثيرًا فاستولى الخراب على طرابلس وصور وعكّا ونابلس وغيرها من القلاع ووصلت الزلزلة الى بلد الروم وكانت بالعراق يسيرة لم تهدم دورًا ، وفيها ولد ببغداد طفل له راسان وذلك انّ جبهته مفروقة بمقدار ما يدخل فيها ميل ، وفي هذه السنة في شهر رمضان توفي ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي الواعظ ببغداد وتصانيفه مشهورة وكان كثير الوقيعة في الناس لا سيّما في العلمآء المخالفين لمذهبه والموافقين له وكان مولده سنة عشر وخمسمائة ، وفيه ايضًا توفي عيسى بن نُصير النميري الشاعر وكان حسن الشعر وله ادب وفضل وكان موته ببغداد ، وفيها توفي العماد ابو عبد الله محمّد بد محمّد بن حامد بن محمّد اوّله باللام المشدّدة وهو العماد الكاتب الاصفهاني كتب لنور الدين محمود بن زنكي ولصلاح الدين يوسف بن ايّوب رضي الله عنهما

وكان كاتبًا مفلقًا قادرًا على القول ، وفيها جمع عبد الله بن حمزة العلوىّ المتغلّب على جبال اليمن جموعًا كثيرة فيها اثنا عشر الف فارس ومن الرجّالة ما لا يحصى كثرةً وكان قد انضاف اليه من جند المعزّ بن اسمعيل بن سيف الاسلام طغدكين بن ايّوب صاحب اليمن خوفًا منه وايقنوا بمُلك البلاد واقتسموها وخافهم ابن سيف الاسلام خوفًا عظيمًا فاجتمع قوّاد عسكر ابن حمزة ليلًا ليتّفقوا على راى يكون العمل بمقتضاه وكانوا اثنى عشر قايدًا فنزلت عليهم صاعقة اهلكتهم جميعهم فاتى الخبر ابن سيف الاسلام فى باقى الليلة بذلك فسار اليهم مجدًّا فاوقع بالعسكر المجتمع فلم يثبتوا له وانهزموا بين يديه ووضع السيف فيهم فقُتل منهم ستّة الاف قتيل او اكثر من ذلك وثبت مُلكه واستقرّ امره ، وفيها وقع فى بنى عنزة بارض الشراة بين الحجاز واليمن وبآء عظيم وكانوا يسكنون فى عشرين قرية فوقع الوبآء فى ثمان عشرة قرية فلم يبق منهم احد وكان الانسان اذا قرب من تلك القرى يموت ساعة ما يقاربها فتحاماها الناس وبقى اهلهم واغنامهم لا مانع لها وامّا القريتان الاخريتان فلم يمت فيها احد ولا احسّوا بشئ ممّا كان فيه اوليك ۞

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين خمسمائة ، سنة ٥٩٨

ذكر مُلك خوارزم شاه ما كان اخذه الغوريّة من بلاده

قد ذكرنا فى سنة سبع وتسعين مُلك غياث الدين واخيه شهاب الدين ما كان لخوارزم شاه محمّد بن تكش بخراسان مرو ونيسابور وغيرهما وعودهما عنها بعد ان اقطعا البلاد ومسير شهاب الدين الى الهند فلمّا اتّصل بخوارزم شاه علآء الدين محمّد بن تكش عود العساكر الغوريّة عن خراسان ودخول شهاب الدين الهند ارسل الى غياث الدين يُعاتبه ويقول كنتُ اعتقد ان تخلف علىّ بعد انى وأن تنصرنى على الخطا وتردّهم عن بلادى فحيث لم تفعل فلا اقلّ من ان لا تؤذينى وتاخذ بلادى والذى اريده ان تعيد ما اخذتّه منّى الىّ والّا انتصرتُ عليك بالخطا وغيرهم من الاتراك ان عجزت عن اخذ بلادى فانّنى انّما شغلنى عن منعكم عنها الاشتغال بعزآء والدى وتقرير امر بلادى والّا فا انا بعاجز عنكم

وعن اخذ بلادك خراسان وغيرها ، فغالطه غياث الدين فى الجواب ليمهّد الايّام بالمراسلات ويخرج اخوه شهاب الدين من الهند بالعساكر فانّ غياث الدين كان عاجزًا باستيلاء النفرس عليه ، فلمّا وقف خوارزم شاه على رسالة غياث الدين ارسل الى علاء الدين الغورىّ نايب غياث الدين بخراسان يامره بالرحيل عن نيسابور ويتهدّده ان لم يفعل فكتب علاء الدين الى غياث الدين بذلك ويعرّفه ميل اهل البلد الى الخوارزميّين فامد غياث الدين جوابه يقوّى قلبه ويَعِده النصرة والمنع عنه ، وجمع خوارزم شاه عساكره وسار عن خوارزم نصف ذى الحجّة سنة سبع وتسعين وخمسمائة فلمّا قارب نسا وابيورد هرب هندوخان بن اخى ملكشاه من مرو الى غياث الدين بفيروزكوه وملك خوارزم شاه مدينة مرو وسار الى نيسابور وبها علاء الدين فحصره وقاتله قتالاً شديدًا وطال مقامه عليها وراسله غير مرّة فى تسليم البلد اليه وهو لا يجيب الى ذلك انتظارًا للمدد من غياث الدين فبقى نحو شهرَيْن فلمّا ابطا عليه النجدة ارسل الى خوارزم شاه يطلب الامان لنفسه ولمن معه من الغوريّة وانّه لا يتعرّض اليهم بحبس ولا غيره من الاذى فاجابه الى ذلك وحلف لهم وخرجوا من البلد واحسن خوارزم شاه اليهم ووصلهم بمال جليل وهدايا كثيرة وطلب من علاء الدين ان يسعى فى الصلح بينه وبين غياث الدين واخيه فاجابه الى ذلك وسار الى هراة وفيها اقطاعه ولم يمض الى غياث الدين تجنّيًا عليه لتاخّر امداده ولمّا خرج الغوريّة من نيسابور احسن خوارزم شاه الى الحسين بن خرميل وهو من اعيان امرآئهم زيادةً على غيره وبالغ فى اكرامه فقيل ان من ذلك اليوم استخلفه لنفسه وان يكون معه بعد غياث الدين واخيه شهاب الدين ، ثمّ سار خوارزم شاه الى سرخس وبها الامير زنكى فحصره اربعين يومًا وجرى بين الفريقَيْن حروبٌ كثيرة فضاقت الميرة على اهل البلد لا سيّما للحطب فارسل زنكى الى خوارزم شاه يطلب منه ان يتاخّر عن باب البلد حتّى يخرج هو واصحابه ويترك البلد له فراسله خوارزم شاه فى الاجتماع به ليُحسن اليه والى مَن معه فلم يُجبه الى ذلك واحتجّ بقرب نسبه من غياث الدين فابعد خوارزم شاه عن باب البلد بعساكره فخرج زنكى فاخذ من الغلّات وغيرها التى فى المعسكر ما اراد

لا سيّما من الحطب وعاد الى البلد واخرج منه مَن كان قد ضاق به الامر وكتب الى خوارزم شاه العود اليه فندم حيث لم ينفعه الندم ورحل عن البلد وترك عليه جماعة من الامرآء يحصرونه، فلمّا ابعد خوارزم شاه سار محمّد بن جربك[1] من الطالقان وهو من امرآء الغوريّة وارسل الى زنكى امير سرخس يُعرّفه انّه يريد يكبس الخوارزميّين ليلًا ينزعج اذا سمع الغلبة وسمع الخوارزميّون الخبر ففارقوا سرخس وخرج زنكى ولقى محمّد بن جربك[2] وعسكرًا فى مرو الروذ واخذ خراجها وما يجاورها فسيّر اليهم خوارزم شاه عسكرًا مع خاله فلقيهم محمّد بن جربك[1] وقاتلهم وحمل بلْتَ فى يده على صاحب علم الخوارزميّة فضربه فقتله والقى علمهم وكسر كوساتهم فانقطع صوتها عن العسكر ولم يروا اعلامهم فانهزموا وركبهم الغوريّة قتلًا واسرًا نحو فرسخيْن فكانوا ثلاثة الاف فارس وابن جربك[3] فى تسع مأية فارس وغنم جميع معسكرهم فلمّا سمع خوارزم شاه ذلك عاد الى خوارزم وارسل الى غياث الدين فى الصلح فاجابه عن رسالته مع امير كبير من الغوريّة يقال له الحسين بن محمّد المرغنىّ ومرغن من قُرى الغور فقبض عليه خوارزم شاه ☆

ذكر حصر خوارزم شاه هراة وعوده عنها

لمّا ارسل خوارزم شاه الى غياث الدين فى الصلح واجابه عن رسالته مع الحسين المرغنىّ مغالطًا قبض خوارزم شاه على الحسين وسار الى هراة ليحاصرها فكتب الحسين الى اخيه عمر بن محمّد المرغنىّ امير هراة يخبره بذلك فاستعدّ للحصار، وكان سبب قصد خوارزم شاه حصار هراة انّ رجلَيْن اخوَيْن ممّن كان يخدم محمّدًا سلطان شاه اتّصلا بغياث الدين بعد وفاة سلطان شاه فاكرمهما غياث الدين واحسن اليهما يقال لاحدهما الامير الحاجّى فكاتبا خوارزم شاه واطمعاه فى البلد وضمنا له تسليمه اليه فسار لذلك ونازل المدينة وحصرها فسلّم الامير عمر المرغنىّ امير البلد مفاتيح الابواب اليهما وجعلهما على القتال ثقةً منه بهما وظنًّا منه انّهما عدوًّا خوارزم شاه تكش وابنه محمّد بعده فاتّفق انّ بعض الخوارزميّة

---

[1] حربك [2] حرنك [3] حزنك

اخبر الحسين المرغنى عند خوارزم شاه بحال الرجلين وانهما هما اللذان يدبّران خوارزم شاه ويامرانه بما يفعل فلم يصدّقه واتاه بخطّ الامير حاجى فاخذه وارسله الى اخيه عمر امير هراة فاخذهما واعتقلهما واخذ اصحابهما ، ثمّ انّ الب غازى وهو ابن اخت غياث الدين جآء فى عسكر من الغوريّة فنزل على خمسة فراسخ من هراة فكان يمنع الميرة عن عسكر خوارزم شاه ثمّ انّ خوارزم شاه سيّر عسكرًا الى اعمال الطالقان للغارة عليها فلقيهم الحسن بن جربك[1] فقاتلهم فظفر بهم فلم يُفلت منهم احد وسار غياث الدين عن فيروزكوه الى هراة فى عسكره فنزل برباط رزين بالقرب من هراة ولم يقدم على خوارزم شاه لقلّة عسكره لانّ اكثر عساكره كانت مع اخيه بالهند وغزنة فاقام خوارزم شاه على هراة اربعين يومًا وعزم على الرحيل لانّه بلغه انهزام اصحابه بالطالقان وقرب غياث الدين وكذلك ايضًا قرب الب غازى وسمع ايضًا انّ شهاب الدين قد خرج من الهند الى غزنة وكان وصوله اليها فى رجب من هذه السنة فخاف ان يصل بعساكره فلا يمكنه المقام على البلد فارسل الى امير البلد عمر المرغنىّ فصالحه على مال حمله اليه وارتحل عن البلد ، واما شهاب الدين فانّه لمّا وصل الى غزنة بلغه الخبر بما فعله خوارزم شاه بخراسان وملكه لها فسار الى خراسان فوصل الى بلخ ومنها الى باميان[2] ثمّ الى مرو عازمًا على حرب خوارزم شاه وكان نازلًا هناك فالتقت اوايل عسكريهما واقتتلوا قتالًا شديدًا فقُتل من الفريقين خلق كثير ثمّ انّ خوارزم شاه ارتحل عن مكانه شبّه المنهزم وقطع القناطر وقتل الاميرَ سنجر صاحب نيسابور لانّه اتّهمه بالمخامرة عليه وتوجّه شهاب الدين الى طوس فاقام بها تلك الشتوة على عزم المسير الى خوارزم ليحصرها فاتاه الخبر بوفاة اخيه غياث الدين فقصد هراة وترك ذلك العزم ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة درّس مجد الدين ابو علىّ يحيى بن الربيع الفقيه الشافعىّ بالنظاميّة ببغداد فى ربيع الاوّل ، وفيها توفّيت بنفشة جارية الخليفة

(1 حرنك (2 نامیان

المستنصر بامر الله وكان كثير الميل اليها والمحبّة لها وكانت كثيرة المعروف والاحسان والصدقة، وفيها ايضًا توفّى الخطيب عبد الملك بن زيد الدَّوْلَعىّ خطيب دمشق وكان فقيهًا شافعيًّا والدولعيّة قرية من اعمال الموصل ☆

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، سنة ٥٩٩

ذكر حصر العادل ماردين وصلحه مع صاحبها

فى هذه السنة فى المحرّم سيّر الملك العادل ابو بكر بن ايّوب صاحب دمشق ومصر عسكرًا مع ولده الملك الاشرف موسى الى ماردين فحصروها وشحّنوا على اعمالها وانضاف اليه عسكر الموصل وسنجار وغيرها ونزلوا بخرزم[1] تحت ماردين ونزل عسكر من قلعة البارعيّة[2] وهى لصاحب ماردين يقطعون الميرة عن العسكر العادلىّ فسار اليهم طايفة من العسكر العادلىّ فاقتتلوا فانهزم عسكر البارعيّة[2] وثار التركمان وقطعوا الطريق فى تلك الناحية واكثروا الفساد فتعذّر سلوك الطريق الّا لجماعة من ارباب السلاح فسار طايفة من العسكر العادلىّ الى راس العين لاصلاح الطرق وكفّ عادية الفساد واقام ولد العادل ولم يحصل له غرض فدخل الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب فى الصلح بينهم وارسل الى عمّه العادل فى ذلك فاجاب اليه على قاعدة ان يحمل له صاحب ماردين مايّة وخمسين الف دينار فجآء صرف الدينار احد عشر قيراطًا من اميرى ويخطب له ببلاده ويضرب اسمه على السكّة ويكون عسكره فى خدمته اىّ وقت طلبه واخذ الظاهر عشرين الف دينار من النقد المذكور وقرية القرادىّ من اعمال شبختان[3] فرحل ولد العادل عن ماردين ☆

ذكر وفاة غياث الدين ملك الغور وشئ من سيرته

فى هذه السنة فى جمادى الاولى توفّى غياث الدين ابو الفتح محمّد بن سام الغورىّ صاحب غزنة وبعض خراسان وغيرها واخفيت وفاته وكان اخوه شهاب الدين بطوس عازمًا على قصد خوارزم شاه فاتاه الخبر بوفاة اخيه فسار الى هراة فلمّا وصل اليها جلس للعزآء باخيه فى رجب واظهرت وفاته حينيذ وخلّف غياث الدين من الولد ابنًا اسمه محمود لُقّب بعد

[1]) C. P.: بخرزم [2]) C. P. Ups.: البارعيه [3]) C. P.: بشنجان Ups.: بسنجار

موت ابيه غياث الدين وسنورد من اخباره كثيرًا ، ولمّا سار شهاب الدين من طوس استخلف بمرو الامير محمّد بن جربك[1] فسار اليه جماعة من الامرآء الخوارزميّة فخرج اليهم محمّد ليلًا وبيّتهم فلم ينج منهم الّا القليل وانفذ الاسرى والرؤس الى هراة فامر شهاب الدين بالاستعداد لقصد خوارزم على طريق الرمل وجهّز خوارزم شاه جيشًا وسيّرهم مع برفور[2] التركىّ الى قتال محمّد بن جربك[3] فسمع بهم فخرج اليهم ولقيهم على عشرة فراسخ من مرو فاقتتلوا قتالًا شديدًا قُتل بين الفريقين خلق كثير وانهزم الغوريّة ودخل محمّد بن جربك[3] مروَ فى عشرة فرسان وجآء الخوارزميّون فحصروه خمسة عشر يومًا فضعُف عن الحفظ فارسل فى طلب الامان فحلفوا له ان خرج اليهم على حكمهم انّهم لا يقتلونه فخرج اليهم فقتلوه واخذوا كلّ ما معه ، وسمع شهاب الدين الخبر فعظم عليه وتردّدت الرسل بينه وبين خوارزم شاه فلم يستقرّ الصلح واراد العود الى غزنة فاستعمل على هراة ابن اخيه الب غازى وفلك الملك علآء الدين محمّد بن آتى علىّ الغورىّ على مدينة فيروزكوه وجعل اليه حرب خراسان وامر كلّ ما يتعلّق بالمملكة واتاه محمود بن اخيه غياث الدين فولّاه مدينة بُست واسفزار وتلك الناحية وجعله بمعزل من المُلك جميعه ولم يحسن الخلافة عليه بعد ابيه ولا على غيره من اهله فمن جملة فعله انّ غياث الدين كانت له زوجة كانت مغنّية فهويها وتزوّجها فلمّا مات غياث الدين قبض عليها وضربها ضربًا مُبرّحًا وضرب ولدها غياث الدين وزوّج اختها واخذ اموالهم واملاكهم وسيّرهم الى بلد الهند فكانوا فى اقبح صورة وكانت قد بنَتْ مدرسة ودفنت فيها اباها وامّها واخاها فهدمها ونبش قبور الموتى ورمى بعظامهم منها ، وامّا سيرة غياث الدين واخلاقه فانّه كان مُظفّرًا منصورًا فى حروبه لم تنهزم له رايةٌ قطّ وكان قليل المباشرة للحروب وانّما كان له دهآء ومكرٌ وكان جوادًا حسن الاعتقاد كثير الصدقات والوقوف بخراسان بنى المساجد والمدارس بخراسان لاصحاب الشافعىّ وبنى الخانكاهات فى الطرق واسقط المكوس ولم يتعرّض الى مال احد من الناس ومَن مات ببلده يسلّم ماله الى اهل

---

1) خزبك 2) مبعور 3) حربك

بلده من التجار فان لم يجد احدًا يسلّمه الى القاضى ويختم عليه الى ان يصل من ياخذه بمقتضى الشرع وكان اذا وصل الى بلد عمّ احسانه اهله والفقهآء واهل الفضل يخلع عليهم ويفرض لهم الاعطيات كلّ سنة من خزانته ويغرق الاموال فى الفقرآء وكان يراعى كلّ من وصل الى حضرته من العلويّين والشعرآء وغيرهم وكان فيه فضل غزير وادب مع حسن خطّ وبلاغة وكان رحمه الله ينسخ المصاحف بخطّه ويوقفها فى المدارس التى بناها ولم يظهر منه تعصّب على مذهب ويقول التعصّب فى المذاهب من الملك قبيح الّا انّه كان شافعىّ المذهب فهو يميل الى الشافعيّة من غير ان يطمعهم فى غيرهم ولا اعطاهم ما ليس لهم ☆

ذكر اخذ الظاهر قلعة نجم من اخيه الافضل

فى هذه السنة اخذ الظاهر غازى قلعة نجم من اخيه الافضل وكانت فى جملة ما اخذ من العادل لمّا صالحه سنة سبع وتسعين فلمّا كان هذه السنة اخذ العادل من الافضل سَروج وحملين وراس العين وبقى بيده سميساط وقلعة نجم فارسل الظاهر اليه يطلب منه قلعة نجم وضمن له انّه يشفع الى عمّه العادل فى اعادة ما اخذ منه فلم يُعْطه فتهدّده بان يكون إلبًا عليه ولم تزل الرسل تتردّد حتّى سلّمها اليه فى شعبان وطلب منه ان يعوّضه قُرًى او مالًا فلم يفعل وكان هذا من اقبح ما سُمع عن ملك يزاحم اخاه فى مثل قلعة نجم مع خسّتها وحقارتها وكثرة بلاده هو وعدمها لاخيه ، وامّا العادل فانّه لمّا اخذ سَروج وراس العين من الافضل ارسل والدتَه اليه لتسال فى ردّها فلم يشفّعها وردّها خايبة ولقد عوقب البيت الصلاحىّ بما فعله ابوهم مع البيت الاتابكىّ فانّه لمّا قصد حصار الموصل سنة ثمانين وخمسمائة ارسل صاحب الموصل والدته وابنة عمّ نور الدين اليه يسالانه ان يعود فلم يشفّعهما فجرى لاولاده هذا ووُدّت زوجتُه خايبة كما فعل ، ولمّا راى الافضل عمّه واخاه قد اخذا ما كان بيده ارسل الى ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان صاحب ملطيّة وقونية وما بينهما من البلاد يبذل له الطاعة وان يكون فى خدمته ويخطب له ببلده ويضرب السكّة باسمه فاجابه ركن الدين الى ذلك وارسل له خلعة فلبسها الافضل وخطب له بسميساط فى سنة ستّمائة وصار فى جملته ☆

ذكر مُلك الكرج مدينة دُوين

فى هذه السنة استولى الكُرج على مدينة دُوين من اذربيجان ونهبوها واستباحوها واكثروا القتل فى اهلها وكانت ق وجميع بلاد اذربيجان للامير ابى بكر بن البهلوان وكان على عادته مشغولًا بالشرب ليلًا ونهارًا لا يفيق ولا يصحو ولا ينظر فى امر مملكته ورعيّته وجنده قد القى الجميع عن قلبه وسلك طريق مَن ليس له علاقة وكان اهل تلك البلاد قد اكثرت الاستغاثة اليه واعلامه بقصد الكُرج بلادهم بالغارة مرّة بعد اخرى فكانّهم ينادون صخرة صمّاء فلمّا حصر الكُرج هذه السنة مدينة دُوين سار منهم جماعة يستغيثون فلم يُغثهم وخوّفه جماعة من امرآيه عاقبة اهماله وتوانيه واصراره على ما هو فيه فلم يصْغ اليهم فلمّا طال الامر على اهلها ضعفوا وعجزوا واخذهم الكُرج عنوةً بالسيف وفعلوا ما ذكرنا ثمّ انّ الكُرج بعد ان استقرّ امرهم بها احسنوا الى مَن بقى من اهلها فالله تعالى ينظر الى المسلمين ويسهّل لثغورهم مَن يحفظها ويحميها فانّها مستباحة لا سيّما هذه الناحية فانّا لله وانّا اليه راجعون فلقد بلغنا من فعل الكُرج باهل دوين من القتل والسبى والامر ما تقشعرّ منه الجلود ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة احضر الملك العادل محمّدًا ولد العزيز صاحب مصر الى الرُّها وذلك انّه لمّا قطع خُطبته من مصر سنة ستّ وتسعين كما ذكرناه خاف شيعة ابيه ان يجتمعوا عليه ويصير له معهم فتنة فاخرجه سنة ثمان وتسعين الى دمشق ثمّ نقله هذه السنة الى الرُّها فاقام بها ومعه جميع اخوته واخواته ووالدته ومَن يخصّه ، وفيها فى رجب توفّى الشيخ وجيه الدين محمّد بن محمود المروروذىّ الفقيه الشافعىّ وهذا الذى كان السبب فى ان صار غياث الدين شافعيًّا ، وفى ربيع الاوّل منها توفّى ابو الفتح عبيد الله بن ابى المعمّر الفقيه الشافعىّ المعروف بالمُستَمْلى ببغداد وله خطّ حسن ، وفى ربيع الاخر توفّيت زمرّد خاتون امّ الخليفة الناصر لدين الله وأُخرجت جنازتها ظاهرة وصلّى الخلق الكثير عليها ودُفنت فى التربة التى بنتها لنفسها وكانت كثيرة المعروف ☆

ثم دخلت سنة ستّمائة ٥ سنة ٦٠٠

ذكر حصار خوارزم شاه هراة ثانية

فى هذه السنة اوّل رجب وصل خوارزم شاه محمّد الى مدينة هراة فحصرها وبها الب غازى ابن اخت شهاب الدين الغورىّ ملك غزنة بعد مراسلات جرت بينه وبين شهاب الدين فى الصلح فلم يتمّ وكان شهاب الدين قد سار عن غزنة الى لهاوور[1] عازمًا على غزو الهند فاقام خوارزم شاه على حصار هراة الى سلخ شعبان وكان القتال دايمًا والقتل من الفريقين كثيرًا وممّن قُتل رئيس خراسان وكان كبير القدر يقيم بمشهد طوس ٥ وكان للحسين[2] ابن خرميل بكرزبان[3] وهى اقطاعه فارسل الى خوارزم شاه يقول له ارسل الىّ عسكرًا لنُسلم اليهم الفيلة وخزانة شهاب الدين فارسل اليه الف فارس من اعيان عسكره الى كرزبان[4] فخرج عليه هو والحسين بن محمّد المرغنىّ فقتلوهم الّا القليل فبلغ الخبر الى خوارزم شاه فسقط ما فى يديه وندم على انفاذ العسكر وارسل الى الب غازى يطلب منه ان يخرج اليه من البلد ويخدمه خدمة سلطانيّة ليرحل عنه فلم يجبه الى ذلك فاتّفق انّ الب غازى مرض واشتدّ مرضه فخاف ان يشتغل بمرضه فيملك خوارزم شاه البلد فاجاب الى ما طلب منه واستحلفه على الصلح واهدى له هدية جليلة وخرج من البلد ليخدمه فسقط الى الارض ميّتًا ولم يشعر احدٌ بذلك وارتحل خوارزم شاه عن البلد واحرق المجانيق وسار الى سرخس فاقام بها ٥

ذكر عود شهاب الدين من الهند وحصر خوارزم وانهزامه من الخطا

فى هذه السنة فى رمضان عاد شهاب الدين الغورىّ الى خراسان من قصد الهند وسبب ذلك انّه بلغه حصر خوارزم شاه هراة وموت الب غازى نايبه بها فعاد حنقًا على خوارزم شاه فلمّا بلغ ميمند[7] عدل على طريق اخرى قاصدًا الى خوارزم فارسل خوارزم شاه يقول له ارجع الىّ لاحاربك والّا سرتُ الى هراة ومنها الى غزنة وكان خوارزم شاه قد سار

---

1) لهاوور 2) للحسن 3) خرميل 4) بكرزبان
5) كرزبان 6) C. P. Ups.: واخرج 7) ميمند

من سرخس الى مرو فاقام بظاهرها فاعاد اليه شهاب الدين جوابه لعلّك تنهزم كما فعلتَ تلك الدفعة لكنّ خوارزم تجمعنا ففرّق خوارزم شاه عساكره واحرق ما جمعه من العلف ورحل يسابق شهاب الدين الى خوارزم فسبقه اليها فقطع الطريق واجرى المياه فيها فتعذّر على شهاب الدين سلوكها واقام اربعين يومًا يصلحها حتّى امكنه الوصول الى خوارزم والتقى العسكران بسوقرا ومعناه المآء الاسود فجرى بينهم قتال شديد كثر القتلى فيه بين الفريقيْن وممّن قُتل من الغوريّة الحسين المرغنيّ وغيره وأُسر جماعة من الخوارزميّة فامر شهاب الدين بقتلهم فقُتلوا ، وارسل خوارزم شاه الى الاتراك الخطا يستنجدهم وهم حينيئذ اصحاب ما وراء النهر فاستعدّوا وساروا الى بلاد الغوريّة ، فلمّا بلغ شهاب الدين ذلك عاد عن خوارزم فلقى اوايلهم فى صحرآء اندخوى اوّل صفر سنة احدى وستّمايئة فقتل فيهم واسر كثيرًا فلمّا كان اليوم الثانى دهمه من الخطا ما لا طاقة له بهم فانهزم المسلمون هزيمة قبيحة وبقى شهاب الدين فى نفر يسير وقتل بيده اربعة افيال له لانّها اعيت واخذ الكفّار فيليْن ودخل شهاب الدين اندخوى فيمّن معه وحصره الكفّار ثمّ صالحوه على ان يُعطيهم فيلًا اخر ففعل وخلص ووقع الخبر فى جميع بلاده بانّه قد عُدم وكثرت الاراجيف بذلك ثمّ وصل الى الطالقان فى سبعة نفر وقد قُتل اكثر عسكره ونُهبت خزاينه جميعها فلم يبق منها شئ فاخرج له الحسين بن خرميل صاحب الطالقان خيامًا وجميع ما يحتاج اليه وسار الى غزنة واخذ معه الحسين بن خرميل لانّه قيل له عنه انّه شديد الخوف لانهزامه وانّه قال اذا سار السلطان هربتُ الى خوارزم شاه فاخذه معه وجعله امير حاجب ، ولمّا شاع الخبر بقتل شهاب الدين جمع تاج الدين الدز وهو مملوك اشتراه شهاب الدين اصحابه وقصد قلعة غزنة ليصعد اليها فمنعه مستحفظها فعاد الى داره فاقام بها وافسد الخلج وساير المفسدين فى البلاد وقطع الطرق وقتلوا كثيرًا فلمّا عاد شهاب الدين الى غزنة بلغه ما فعله الدز فاراد قتله فشفع فيه ساير المماليك فاطلقه ثمّ اعتذر وسار شهاب الدين فى البلاد فقتل من المفسدين من تلك الامم نفرًا كثيرًا ، وكان له ايضًا مملوك اخر اسمه

ايبك بال تر[1] فسلم من المعركة ولحق بالهند ودخل المولتان[2] وقتل نايب السلطان بها وملك البلد واخذ الاموال السلطانيّة واساء السيرة فى الرعيّة واخذ اموالهم وقال قُتل السلطان وانا السلطان وكان يحمله على ذلك ويُحسّنه له انسان اسمه عمر بن يزان[3] وكان زنديقًا ففعل ما امره وجمع المفسدين واخذ الاموال فاخاف الطريق فبلغ خبره الى شهاب الدين فسار الى الهند وارسل اليه عسكرًا فاخذوه ومعه عمر بن [يزان] فقتلهما اقبح قتلة وقتل مَن وافقهما فى جمادى الاخرة من سنة احدى وستّمائة ولمّا رءاهم قتلى قرأ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ الاية[4]، وامر شهاب الدين فى جميع بلاده بالتجهّز لقتال الخطا وغزوهم والاخذ بثارهم، وقيل كان سبب انهزامه انّه لمّا عاد الى الخطا من خوارزم فرّق عسكره فى المفازة التى فى طريقه لقلّة الماء وكان الخطا قد نزلوا على طرف المفازة فكلّما خرج من اصحابه طايفة فتكوا فيهم بالقتل والاسر ومَن سلم من عسكره انهزم نحو البلاد ولم يرجع اليه احد يُعلم الحال وجاء شهاب الدين فى ساقة العسكر فى عشرين الف فارس ولم يَعلم الحال فلمّا خرج من البريّة لقيه الخطا مسترجين وهو ومَن معه قد تعبوا واعيوا وكان الخطا اضعاف اصحابه فقاتلهم عامة نهاره وحمى نفسه منهم وحصروه فى اندخوى[5] فجرى بينهم فى عدّة ايّام اربعة عشر مصافًّا منها مصاف واحد كان من العصر الى الغد بكرة ثمّ انّه بعد ذلك سيّر طايفة من عسكر ليلًا سرًّا وامرهم ان يرجعوا اليه بكرة كانّهم قد اتوه مددًا من بلاده فلمّا فعلوا ذلك خافه الخطا وقال لهم صاحب سمرقند وكان مسلمًا وهو فى طاعة الخطا وقد خاف على الاسلام والمسلمين ان هم ظفروا بشهاب الدين فقال لهم انّ هذا الرجل لا نجده قطّ اضعف منه لمّا خرج من المفازة ومع ضعفه وتعبه وقلّة مَن معه لم نظفر به والامداد اتته وكانّكم بعساكره وقد اقبلت من كلّ طريق وحينيئذ نطلب الخلاص منه فلا نقدر عليه والراى لنا الصلح معه فاجابوا الى ذلك فارسلوا اليه فى الصلح وكان صاحب سمرقند قد ارسل اليه وعرّفه الحال سرًّا وامره

---

[1]) C. P.: باك بر [2]) المولفان [3]) C. P.: يران [4]) Cor. 5, 37. [5]) اندخرى

باظهار الامتناع من الصلح اوّلاً والاجابة اليه اخيرًا فلمّا اتته الرسل امتنع واظهر القوّة بانتظار الامداد وطال الكلام فاصطلحوا على انّ الخطا لا يعبرون النهر الى بلاده ولا يعبر الى بلادهم ورجعوا عنه وخلص هو وعاد الى بلاده والباقى نحو ما تقدّم ☆

ذكر قتل طايفة من الاسماعيليّة بخراسان

فى هذه السنة وصل رسول الى شهاب الدين الغورىّ من عند مقدّم الاسماعيليّة بخراسان برسالة انكرها فامر علآء الدين محمّد ابن ابى علىّ متولّى بلاد الغوريّة بالمسير اليهم ومحاصرة بلادهم فسار فى عساكر كثيرة الى قهستان وسمع به صاحب زوزن فقصده وسار معه وفارق خدمة خوارزم شاه ونزل علآء الدين على مدينة قاين[1] وهى للاسماعيليّة وحصرها وضيّق على اهلها ووصل خبر قتل شهاب الدين على ما نذكره فصالح اهلها على ستّين الف دينار ركنيّة ورحل عنهم وقصد حصن كاخك فاخذه وقتل المقاتلة وسبى الذرّيّة ورحل الى هراة ومنها[2] [الى][3] فيروزكوه ☆

ذكر مُلك القسطنطينيّة من الروم

فى هذه السنة فى شعبان ملك الفرنج مدينة القسطنطينيّة من الروم وازالوا مُلك الروم عنها وكان سبب ذلك انّ ملك الروم بها تزوّج اخت مَلك الفرنسيس وهو من اكبر ملوك الفرنج فرُزق منها ولدًا ذكرًا ثمّ وثب على الملك اخٌ له فقبض عليه وملك البلد منه وسمل عينَيْه وسجنه فهرب ولده ومضى الى خاله مستنصرًا به على عمّه فاتّفق ذلك وقد اجتمع كثير من الفرنج ليخرجوا الى بلاد الشام لاستنقاذ البيت المقدّس فاخذوا ولد الملك معهم وجعلوا طريقهم على القسطنطينيّة قصدًا لاصلاح الحال بينه وبين عمّه ولم يكن له طمع فى سوى ذلك فلمّا وصلوا خرج عمّه فى عساكر الروم محاربًا لهم فوقع القتال بينهم فى ذى القعدة سنة تسع وتسعين وخمسمايئة فانهزمت الروم ودخلوا البلد فدخله الفرنج معهم فهرب ملك الروم الى اطراف البلاد وقيل انّ ملك الروم لم يقاتل الفرنج بظاهر البلد وانّما حصروه فيها وكان بالقسطنطينيّة من الروم مَن يريد الصبىّ

---

[1]) فاين [2]) C. P. Ups.: وفيها [3]) C. P.

فالقوا النار فى البلد فاشتغل الناس بذلك ففتحوا بابًا من ابواب المدينة فدخلها الفرنج وخرج ملكها هاربًا وجعل الفرنج الملك فى ذلك الصبىّ وليس له من الحكم شئ واخرجوا اباه من السجن انما الفرنج هم الحكام فى البلد فثقلوا الوطأة على اهله وطلبوا منهم اموالاً عجزوا عنها واخذوا اموال البيع وما فيها من ذهب ونقرة وغير ذلك حتى ما على الصلبان وما هو على صورة المسيح عم والحواريين وما على الاناجيل من ذلك ايضًا فعظم ذلك على الروم وحملوا منه خطبًا عظيمًا فعمدوا الى ذلك الصبىّ الملك فقتلوه واخرجوا الفرنج من البلد واغلقوا الابواب واستحصروا الملك وكان ذلك فى جمادى الاولى سنة ستّمائة فاقام الفرنج بظاهره محاصرين للروم وقاتلوهم ولازموا قتالهم ليلاً ونهارًا وكان الروم قد ضعفوا ضعفًا كثيرًا فارسلوا الى السلطان ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان صاحب قونية وغيرها من البلاد يستنجدونه فلم يجد الى ذلك سبيلاً وكان بالمدينة كثير من الفرنج مقيمين يقاربون ثلاثين الفًا ولعظم البلد لا يظهر امرهم فتواضعوا هم والفرنج الذين بظاهر البلد ووثبوا فيه والقوا النار مرّة ثانية فاحترق نحو ربع البلد وفتحوا الابواب فدخلوها ووضعوا السّيف ثلاثة ايّام وفتكوا بالروم قتلاً ونهبًا فاصبح الروم كلّهم ما بين قتيل او فقير لا يملك شيأً ودخل جماعة من اعيان الروم الكنيسة العظمى التى تُدْعَى سوفيا فجآء الفرنج اليها فخرج اليهم جماعة من القسيسين والاساقفة والرهبان بايديهم الانجيل والصليب يتوسّلون بها الى الفرنج ليُبقوا عليهم فلم يلتفتوا اليهم وقتلوهم اجمعين ونهبوا الكنيسة ، وكانوا ثلاثة ملوك دوقس البنادقة وهو صاحب المراكب البحريّة وفى مراكبه ركبوا الى القسطنطينيّة وهو شيخ أعْمَى اذا ركب تُقاد فرسه والاخر يقال له المركيس وهو مقدّم الافرنسيس والاخر يقال له كند افلند وهو اكثرهم عددًا فلمّا استولى على القسطنطينيّة اقترعوا على الملك فخرجت القرعة على كند افلند فاعادوا القرعة ثانية وثالثة فخرجت عليه فملّكوه والله يوتى مُلكه من يشآء وينزعه ممّن يشآء فلمّا خرجت القرعة عليه ملّكوه عليها وعلى ما يجاورها وتكون لدوقس البنادقة الجزاير البحريّة مثل جزيرة اقريطش وجزيرة رودس وغيرها ويكون لمركيس الافرنسيس البلاد التى هى شرقىّ الخليج مثل ازنيق ولاذيق

فلم يحصل لاحد منهم شئ غير الذى اخذ القسطنطينيّة وامّا الباقى فلم يَسلم مَن به من الروم وامّا البلاد التى كانت لملك القسطنطينيّة شرقىّ الخليج المجاورة لبلاد ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان ومن جملتها ازنيق ولاذيف فانّها تغلّب عليها بطريق كبير من بطارقة الروم اسمه لشكرى[1] وهى بيده الى ان توفّى ☆

ذكر انهزام نور الدين صاحب الموصل من العساكر العادليّة

فى هذه السنة فى العشرين من شوّال انهزم نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل من العساكر العادليّة وسبب ذلك انّ نور الدين كان بينه وبين عمّه قطب الدين محمّد بن زنكى صاحب سنجار وحشة مستحكمة اوّلاً ثمّ اتّفقا وسار معه الى ميّافارقين سنة خمس وتسعين وقد ذكرناه فلمّا كان الآن ارسل الملك العادل ابو بكر بن ايّوب صاحب مصر ودمشق وبلاد الجزيرة الى قطب الدين واستماله فمال اليه وخطب له لمّا سمع نور الدين ذلك سيّر الى مدينة نصيبين سلخ شعبان وهى لقطب الدين فحصرها وملك المدينة وبقيت القلعة فحصرها عدّة ايّام فبينما هو يحاصرها وقد اشرف على ان يتسلّمها اتاه الخبر انّ مظفّر الدين كوكبرى[2] بن زين الدين علىّ صاحب اربل قد قصد اعمال الموصل فنهب نينوى واحرق غلاتها فلمّا بلغه ذلك من نايبه المرتّب بالموصل يحفظها سار عن نصيبين الى الموصل على عزم العبور الى بلد اربل ونهيه جزآء بما فعل صاحبها ببلده فوصل الى مدينة بلد وعاد مظفّر الدين الى بلده وتحقّق نور الدين انّ الذى قيل له وقع فيه زيادة فسار الى تلّ اعفر من بلد وهى لصاحب سنجار ولحصرها واخذها ورتّب امورها واقام عليها سبعة عشر يومًا وكان الملك الاشرف موسى بن الملك العادل بن ايّوب قد سار من مدينة حرّان الى راس عين نجدة لقطب الدين صاحب سنجار ونصيبين وقد اتّفق هو ومظفّر الدين صاحب اربل وصاحب الحصن وآمد وصاحب جزيرة ابن عمر وغيرهم على ذلك وعلى منع نور الدين من اخذ شئ من بلاده وكلّهم خايفون منه ولم يمكنهم الاجتماع

---

[1] لسكرلى [2] كوكندى

وهو على نصيبين فلمّا فارقها نور الدين سار الاشرف اليها واتاه اخوه نجم الدين صاحب ميّافارقين وصاحب الحصن وصاحب الجزيرة وصاحب دارا وساروا عن نصيبين نحو بلد البقعا قريبًا من بوشرى وسار نور الدين من تلّ اعفر الى كفر زمّار[1] وعزم على المطاولة لينفرّقوا فاتاه كتاب من بعض مماليكه يسمّى جرديك[2] وقد ارسله يتجسّس اخبارهم فيقلّلهم فى عينه ويطمعه فيهم ويقول ان اذنتَ لى لقيتهم بمفردى[3] فسار حينيئذ نور الدين الى بوشرى[4] فوصل اليها من الغد الظهر وقد تعبت دوابّه واصحابه ولقوا شدّة من الحرّ فنزل بالقرب منهم اقلّ من ساعة واتاه الخبر انّ عساكر الحصن قد ركبوا فركب هو واصحابه وساروا نحوهم فلم يروا لهم اثرًا فعاد الى خيامه ونزل هو وعساكره وتفرّق كثير منهم فى القرى لتحصيل العلوفات وما يحتاجون اليه فجآءه من اخبره بحركة الحصن وقصده فركب نور الدين وعسكره وتقدّموا اليهم وبينهم نحو فرسخَيْن فوصلوا وقد ازداد تعبهم والحصن مستريح فالتقوا واقتتلوا فلم تطُل الحرب بينهم حتّى انهزم عسكر نور الدين وانهزم هو ايضًا وطلب الموصل فوصل اليها فى اربعة انفس وتلاحق الناس واتى الاشرف ومَن معه فنزلوا فى كفر زمّار[1] ونهبوا البلاد نهبًا قبيحًا واهلكوا ما لم يصلح لهم لا سيّما مدينة بلد فانّهم افحشوا فى نهبها ومن اعجب ما سمعنا انّ امراة كانت تطبخ فرات [النهب][5] فالقت سوارَيْن كانتا فى يديها فى النار وهربت فجآء بعض الجند ونهب ما فى البيت فراى فيه بيضًا فاخذه وجعله فى النار لياكله فحرّك فراى السوارَيْن فيها فاخذهما ، وطال مقامهم والرسل تتردّد فى الصلح فوقف الامر على اعادة تلّ اعفر ويكون الصلح على القاعدة الاوّلة وتوقّف نور الدين فى اعادة تلّ اعفر فلمّا طال الامر سلّمها اليهم واصطلحوا اوايل سنة احدى وستّمائة وتفرّقت العساكر من البلاد ☆

ذكر خروج الفرنج بالشام الى بلد الاسلام والصلح معهم

فى هذه السنة خرج كثير من الفرنج فى البحر الى الشام وسهل الامر عليهم بذلك لملكهم قسطنطينيّة وارسوا بعكّا وعزموا على قصد البيت

---

[1]) رمار [2]) C. P.: خردبك [3]) C. P. Ups.: بحردمى
[4]) موسرى [5]) C. P.

المقدّس حرسها الله واستنقاذه من المسلمين فلما استراحوا بعكّا ساروا فنهبوا كثيرًا من بلاد الاسلام بنواحى الاردنّ وسبوا وفتكوا فى المسلمين وكان الملك العادل بدمشق فارسل فى جمع العساكر من بلاد الشام ومصر وسار فنزل عند الطور بالقرب من عكّا لمنع الفرنج من قصد بلاد الاسلام ونزل الفرنج بمرج عكّا واغاروا على كفركنّا فاخذوا كلّ مَن بها واموالهم والامرآء يحثّون العادل على قصد بلادهم ونهبها فلم يفعل فبقوا كذلك الى ان انقضت السنة وذلك سنة احدى وستّمائة فاصطلح هو والفرنج على دمشق واعمالها وما بيد العادل من الشام ونزل لهم عن كثير من المناصفات فى الرملة وغيرها واعطاهم ناصرة وغيرها وسار نحو الديار المصريّة فقصد الفرنج مدينة حماة فلقيهم صاحبها ناصر الدين محمّد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن ايّوب فقاتلهم وكان فى قلّة فهزموه الى البلد فخرج العامّة الى قتالهم فقتل الفرنج منهم جماعة وعاد الفرنج ۞

ذكر قتل كوكجة ببلاد الجبل وولاية ايتغمش

قد ذكرنا قبل تغلّب كوكجة مملوك البهلوان على الرىّ وهمذان وبلد الجبل وبقى الأن وكان قد اصطنع مملوكًا اخر كان للبهلوان اسمه ايتغمش وقدّمه واحسن اليه ووثق به فجمع ايتغمش الجموع من المماليك وغيرهم ثمّ قصد كوكجة فتصافّا واقتتل الفريقان فقُتل كوكجة فى الحرب واستولى ايتغمش على البلاد واخذ معه اوزبك بن البهلوان له اسم الملك وايتغمش هو المدبّر له والقيّم بامر المملكة وكان شهمًا شجاعًا ظالمًا وكان كوكجة عادلاً حسن السيرة رحمه الله ۞

ذكر وفاة ركن الدين بن قلج ارسلان ومُلك ابنه بعده

وفى هذه السنة سادس ذى القعدة توفّى ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن سلجوق صاحب ديار الروم ما بين ملطيّة وقونيّة وكان موته بمرض القولنج فى سبعة ايّام وكان قبل مرضه بخمسة ايّام قد غدر باخيه صاحب انكورية وتسمّى ايضًا انقرة وهى مدينة منيعة وكان مشاقّا لركن الدين

نور (١

فحصره عدّة سنين حتّى ضعُف وقلّت الاقوات عنده فاذعن بالتسليم على عوض ياخذه فعوّضه قلعة فى اطراف بلده وحلف له عليها فنزل اخوه عن مدينة انقرة وسلّمها ومعه ولدان له فوضع ركن الدين عليه مَن اخذه واخذ اولادَه معه فقتله فلم يمض غير خمسة ايّام حتّى اصابه القولنج فمات واجتمع الناس بعده على ولده قلج ارسلان وكان صغيرًا فبقى فى المُلك الى بعض سنة احدى وستمايئة وأُخذ منه على ما نذكره هناك وكان ركن الدين شديدًا على الاعدآء قيّمًا بامر المُلك الّا انّ الناس كانوا ينسبونه الى فساد الاعتقاد كان يقال انّه يعتقد انّ مذهبه مذهب الفلاسفة وكان كلّ من يُرمى بهذا المذهب ياوى اليه ولهذه الطايفة منه احسان كثير الّا انّه كان عاقلًا يحبّ ستر هذا المذهب ليَقلّا ينفر الناس عنه حُكى لى عنه انّه كان عنده انسان وكان يُرمى بالزندقة ومذهب الفلاسفة وهو قريب منه فحضر يومًا عنده فقيه فتناظرا فاظهر شيًا من اعتقاد الفلاسفة فقام الفقيه اليه ولطمه وشتمه بحضرة ركن الدين وركن الدين ساكت وخرج الفقيه فقال لركن الدين يجرى علىّ مثل هذا فى حضرتك ولا تنكره فقال لو تكلّمتُ لقُتلنا جميعًا ولا يمكن اظهار ما تريده انت ۞

ذكر قتل الباطنيّة بواسط

فى هذه السنة فى رمضان قُتل الباطنيّة بواسط وسبب كونهم بها انّه ورد اليها رجل يعرف بالركم محمّد بن طالب بن عُصَيّة واصله من القاروب من قرى واسط وكان باطنيًّا مُلحدًا ونزل مجاورًا لدور بنى الهروى وغشيه الناس وكثُر اتباعه وكان ممّن يغشاه رجل يعرف بحسن الصابونىّ فاتّفق انّه اجتاز بالسويقة فكلّمه رجل نجّارٌ فى مذهبهم فردّ عليه الصابونىّ ردًّا غليظًا فقام اليه النجّار وقتله وتسامع الناس بذلك فوثبوا وقتلوا مَن وجدوا ممّن ينتسب الى هذا المذهب وقصدوا دار ابن عُصَيّة وقد اجتمع اليه خلق من اصحابه واغلقوا الباب وصعدوا الى سطحها ومنعوا الناس عنهم فصعدوا اليهم من بعض الدور من على السطح وتحصّن مَن بقى فى الدار باغلاق الابواب والممارق فكسروها ونزلوا فقتلوا مَن

وجدوا فى الدار واحرقوا وقُتل ابن عصيّة وفُتح الباب وهرب منهم فقتلوا وبلغ الخبر الى بغداد واحدر فخر الدين ابو البدر بن أمسينا الواسطى لاصلاح الحال وتسكين الفتنة ☆

ذكر استيلآء محمود على مرباط وغيرها من حضرموت

فى هذه السنة استولى انسانٌ اسمه محمود بن محمّد الحميرىّ على مدينة مرباط وظفار وغيرها من حضرموت وانّ ابتدآء امره انّه له مركب يكريه فى البحر للتجار ثمّ وزر لصاحب مرباط وفيه كرم وشجاعة وحسن سيرة فلمّا توفّى صاحب مرباط ملك المدينة بعده واطاعه الناس محبّةً له لكرمه وسيرته ودامت ايّامه بها فلمّا كان سنة تسع عشرة وستّمائة خرب مرباطًا وظفارًا وبنى مدينة جديدة على ساحل البحر بالقرب من مرباط وعندها عين عذبة كبيرة اجراها الى المدينة وعمل عليها سورًا وخندقًا وحصّنها وسمّاها الاحمديّة وكان يحبّ الشعر ويكثر الجايزة عليه ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة خرج اسطول من الفرنج الى الديار المصريّة فنهبوا مدينة فوّة واقاموا خمسة ايّام يسبون وينهبون وعساكر مصر مقابلهم بينهم النيل ليس لهم وصول اليهم لانّهم لم تكن لهم سفنٌ ، وفيها كانت زلزلة عظيمة عمّت اكثر البلاد مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقليّة وقبرس ووصلت الى الموصل والعراق وغيرها وخربت من مدينة صور سورها واثرت فى كثير من الشام ، وفيها فى رجب اجتمع جماعة من الصوفيّة برباط شيخ الشيوخ ببغداد وفيهم صوفىّ اسمه احمد بن ابراهيم الدارىّ من اصحاب شيخ الشيوخ عبد الرحيم ابن اسمعيل رحمهم الله ومعهم مُغَنٍّ يغنى يقول الشعر

اعاذلتى اقصرى كفّى بمشيبى عذلُ شباب كأنْ لمْ يكن وشيب كأنْ لم يزلْ
وحقّ ليالى الوصال وأخرها والاوّلْ وصُفرة لون المحبّ عند استماع العذلْ
لئن عاد عيشى[1] بكم حلى العيش لى واتّصلْ

فتحرّك الجماعة عادة الصوفيّة فى السماع وطرب الشيخ المذكور وتواجد

---

[1]) شملى: 740

ثمّ سقط مغشيًّا عليه فحرّكوه فاذ هو ميّت فصُلّى عليه ودُفن وكان رجلًا صالحًا ، وفيها توفّى ابو الفتوح اسعد بن محمود العِجْلىّ الفقيه الشافعىّ باصفهان فى صفر وكان امامًا فاضلًا ، وفى رمضان منها توفّى قاضى هراة عمدة الدين الفضل بن محمود بن صاعد الساوىّ وولى بعده ابنه صاعدٌ ۞

ثمّ دخلت سنة احدى وستّمائة ، سنة ٦٠١

ذكر ملك كيخسرو ابن قلج ارسلان بلاد الروم من ابن اخيه

فى هذه السنة فى رجب ملك غياث الدين كيخسرو ابن قلج ارسلان بلاد الروم التى كانت بيد اخيه ركن الدين سليمان وكان سبب مُلك غياث الدين لها انّ ركن الدين كان قد اخذ ما كان لاخيه غياث الدين وهو مدينة قونية فهرب غياث الدين منه وقصد الشام الى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب فلم يجد عنده قبولًا وقصّر به فسار من عنده وتقلّب فى البلاد الى ان وصل الى القسطنطينيّة فاحسن اليه ملك الروم واقطعه واكرمه فاقام عنده وتزوّج بابنة بعض البطارقة الكبار وكان لهذا البطريق قلعة من عمل القسطنطينيّة فلمّا ملك الفرنج القسطنطينيّة هرب غياث الدين الى حَمِّيه وهو بقلعته فانزله عنده وقال له نشترك فى هذه القلعة ونقنع بدخلها فاقام عنده فلمّا مات اخوه سنة ستّمائة كما ذكرناه واجتمع الامرآء[1] على ولده وخالفهم الاتراك الاوج[2] وهم كثير بتلك البلاد وأنف من اتباعهم وارسل الى غياث الدين يستدعيه اليه ليملّكه البلاد فسار اليه فوصل فى جمادى الاولى واجتمع به وكثُر جمعه وقصد مدينة قونية ليحصرها وكان ولد ركن الدين والعساكر بها فاخرجوا اليه طايفة من العسكر فلقوه فهزموه فبقى حيران لا يدرى اين يتوجّه فقصد بلدة صغيرة يقال لها اوكرم بالقرب من قونية فقدّر الله تعالى انّ اهل مدينة اقصرا وثبوا على الوالى فاخرجوه منها ونادوا بشعار غياث الدين فلمّا سمع اهل قونية بما فعله اهل اقصرا قالوا نحن اولى مَن فعل هذا لانّه كان حسن السيرة فيهم لمّا كان مالكهم فنادوا باسمه ايضًا واخرجوا مَن عندهم واستدعوه فحضر عندهم وملك المدينة

---

[1]) C. P. Ups.: الامر [2]) C. P. Ups.: وخالفهم الامير وهو من الاتراك الاوج

وقبض ابن اخيه ومَن معه واتاه الله الملك وجمع له البلاد جميعها فى ساعة واحدة فسبحان مَن اذا اراد امرًا هيّأ اسبابه وكان اخوه قيصر شاه الذى كان صاحب ملطيّة لمّا اخذها ركن الدين منه سنة سبع وتسعين فخرج منها وقصد الملك العادل ابا بكر بن ايّوب لانّه كان زوج ابنته مستنصرًا به فامره بالمقام بمدينة الرُّها فاقام بها فلمّا سمع بملك اخيه غياث الدين سار اليه فلم يجد عنده قبولًا انّما اعطاه شيأً وامره بمفارقة البلاد فعاد الى الرُّها واقام بها فلمّا استقرّ ملك [غياث الدين سار اليه الافضل صاحب][1] سميساط فلقيه بمدينة قيساريّة وقصده ايضًا نظام الدين صاحب خرت برت وصار معه فعظم شانه وقوى امره ☆

ذكر حصر صاحب آمد خرت برت ورجوعه عنها

كانت خرت برت لعماد الدين بن قرا ارسلان فمات وملكها بعده ابنه نظام الدين ابو بكر والتجا الى ركن الدين ابن قلج ارسلان وبعده الى اخيه غياث الدين ليمتنع به من ابن عمّه ناصر الدين محمود بن محمّد بن قرا ارسلان فامتنع به وكان صاحب آمد ملتجيًا الى الملك العادل وفى طاعته وحضر مع ابنه الملك الاشرف قتال صاحب الموصل على شرط انّه يسيّر معه عساكره ويأخذ له خرت برت وانّما طمع فيها بموت ركن الدين فلمّا دخلت هذه السنة طلب ما كان استقرّ الامر عليه فسار معه الملك الاشرف وعساكر ديار الجزيرة من سنجار وجزيرة ابن عمر والموصل وغيرها وكان نزولهم عليها فى شعبان وفى رمضان تسلّموا ربضها وكان صاحبها قد اجتمع بغياث الدين بعد ان ملك البلاد الروميّة وصار معه فى طاعته فلمّا نزل صاحب آمد على خرت برت خاطب صاحبها لغياث الدين ينجده بعسكر يرحّلهم عنه فجهّز عسكرًا كثيرًا عدّتهم ستّة الاف فارس وسيّرهم [مع] الملك الافضل صاحب سميساط فلمّا وصل العسكر الى ملطيّة فارق صاحب آمد ومَن معه من خرت برت ونزلوا الى الصحراء وحصروا البحيرة المعروفة ببحيرة سهنين وبها حصنان احدهما لصاحب آمد والاخر لصاحب خرت برت فحصره وزاحفه ففتحه

---

[1]) C. P. [2]) Desunt in C. P.: فلقيه بمدينة قيساريّة

ثانى ذى الحجّة ووصل صاحب خرت برت مع العسكر الرومىّ الى خرت برت فرحل صاحب آمد عن البحيرة[1] وقوّى الحصن الذى فتحه فيها فازاح علّته ورحل الى خلف مرجلة ونزل وتردّدت الرسل والعسكر الرومىّ يطلب اعادة البحيرة وصاحب آمد يمتنع من ذلك فلمّا طال الامر بقى الحصن بيد صاحب آمد وانفصل العسكران وعاد كلّ فريق الى بلاده ☆

ذكر الفتن ببغداد

فى سابع عشر شعبان جرت فتنة ببغداد بين اهل باب الازج واهل المامونيّة وسببها انّ اهل باب الازج قتلوا سبعًا وارادوا ان يطوفوا به فمنعهم اهل المامونيّة فوقعت الفتنة بينهما عند البستان الكبير فجُرح منهم خلق كثير وقُتل جماعة وركب صاحب الباب لتسكين الفتنة فجرح فرسُه فعاد فلمّا كان الغد سار اهل المامونيّة الى باب الازج فوقعت بينهم فتنة شديدة وقتالٌ بالسيوف والنشاب واشتدّ الامر فنُهبت الدور القريبة منهم وسعى الركن ابن عبد القادر ويوسف فى تسكين الناس وركب الاتراك فصاروا يبيتون تحت المنظرة فامتنع اهل الفتنة من الاجتماع فسكنوا ، وفى العشرين منه جرت فتنة بين اهل قطفتا والقرية من محالّ الجانب الغربىّ بسبب قتل سُبُع ايضًا اراد اهل قطفتا ان يجتمعوا ويطوفوا به فمنعهم اهل القرية ان يجروا به عندهم فاقتتلوا وقُتل بينهم عدّة قتلى فأُرسل اليهم عسكر من الديوان لتلافى الامر ومَنْع الناس عن الفتنة فامتنعوا ، وفى تاسع رمضان كانت فتنة بين اهل سوق السلطان والجعفريّة منشاها انّ رجلَيْن من المحلّتَيْن اختصما وتوعّد كلّ واحد منهما صاحبه فاجتمع اهل المحلّتين واقتتلوا فى مقبرة الجعفريّة فسُيّر اليهم من الديوان مَن تلافى الامرَ وسكّنه فلمّا كثرت الفتن رتّب امير كبير من مماليك الخليفة ومعه جماعة كثيرة فطاف فى البلد وقتل جماعة ممّن فيه شبهة فسكن الناس ☆

ذكر غارة الكرج على بلاد الاسلام

فى هذه السنة اغارت الكُرج على بلاد الاسلام من ناحية اذربيجان فاكثروا العنت والفساد والنهب والسبى ثمّ اغاروا على ناحية خلاط من

---

[1] الجزيرة

ارمينية فاوغلوا فى البلاد حتّى بلغوا ملازكرد ولم يخرج اليهم احد من المسلمين يمنعهم فجاسوا خلال البلاد ينهبون ويأسرون وكلّما [تقدّموا][1] تاخّرت عساكر المسلمين منهم ثمّ انّهم رجعوا فالله تعالى ينظر الى الاسلام واهله ويبيّسر لهم مَن يحمى بلادهم ويحفظ ثغورهم ويغزوا اعداءهم، وفيها غارت الكُرج الى بلاد خلاط فاتوا الى ارجيش[2] ونواحيها فنهبوا وسبوا وخرّبوا البلاد وساروا الى حصن التين من اعمال خلاط وهو مجاور ارزن الروم فجمع صاحب خلاط عسكره وسار الى طغل شاه[3] ولد قلج ارسلان صاحب ارزن الروم فاستنجده على الكُرج فسيّر عسكره جميعه معه فتوجّهوا نحو الكُرج فلقوهم وتصافّوا واقتتلوا فانهزمت الكُرج وقتل زكرى الصغير وهو من اكابر مقدّميهم وهو الذى كان مقدّم هذا العسكر من الكُرج والمقاتل بهم وغنم المسلمون ما معهم من الاموال والسلاح والكراج وغير ذلك وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا واسروا كذلك وعاد الى بلاده ☆

ذكر الحرب بين امير مكّة وامير المدينة

وفى هذه السنة ايضًا كانت الحرب بين الامير قتادة الحسينىّ امير مكّة وبين الامير سالم بن قاسم الحسينىّ امير المدينة ومع كلّ واحد منهما جمع كثير فاقتتلوا قتالًا شديدًا وكانت الحرب بذى الحُلَيْفة بالقرب من المدينة وكان قتادة قد قصد المدينة ليحصرها ويأخذها فلقيه سالم بعد ان قصد الحجرة على ساكنها الصلاة والسلام فصلّى عندها ودعا وسار فلقيه فانهزم قتادة وتبعه سالم الى مكّة فحصره بها فارسل قتادة الى مَن مع سالم من الامرآء فافسدهم عليه فمالوا اليه وحالفوه فلمّا راى سالم ذلك رحل عنه عايدًا الى المدينة وعاد امر قتادة قوى ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى يوم الجمعة رابع عشر جمادى الاخرة قُطعت خطبة ولىّ العهد واظهر خطّ قرئ بدار الوزير نصير الدين بن مهدى الرازىّ واذ هو خطّ ولىّ العهد الامير ابى نصر بن الخليفة الى ابيه الناصر لدين الله امير المؤمنين يتضمّن العجز عن القيام بولاية العهد ويطلب الاقالة

---

[1]) C. P. [2]) ارخيش [3]) طغرنشاه

وشهد عدلان انه خطّه وانّ الخليفة اقاله وعُمل بذلك محضرٌ شهد فيه القضاة والعدول والفقهآء ، وفى هذه السنة ولدت امراة ببغداد ولدًا له راسان واربع ارجُل ويدان ومات فى يومه ، وفيها[1] ايضًا وقع الحريق فى خزانة السلاح التى للخليفة فاحترق فيها منه شئ كثير وبقيت النار يومَيْن وسار ذكر هذا الحريق فى البلدان فحمل الملوك من السلاح الى بغداد شيأً كثيرًا ، وفى هذه السنة وقع الثلج بمدينة هراة اسبوعًا كاملاً فلمّا سكن جآء بعده سيل من الجبل من باب سرا خرّب كثيرًا من البلد ورمى من حصنه قطعة عظيمة وجآء بعده بردٌ شديدٌ اهلك الثمار فلم يكن بها تلك السنة شئ الّا اليسير ، وفيها فى شعبان خرج عسكر من الغوريّة مقدّمهم الامير زنكى بن مسعود الى مدينة مرو فلقيهم نايب خوارزم شاه بمدينة سرخس وهو الامير جقر وكمن لهم كمينًا فلمّا وصلوا اليه هزمهم واخذ وجوه الغوريّة اسرى فلم يُفلت منهم الّا القليل واخذ اميرهم زنكى اسيرًا فقُتل صبرًا وعلقت رؤسهم بمرو ايّامًا ، وفيها فى ذى القعدة سار الامير عماد الدين عمر بن الحسين الغورىّ صاحب بلخ الى مدينة ترمذ وهى للاتراك الخطا فافتتحها عنوة وجعل بها ولده الاكبر وقُتل مَن بها من الخطا ونقل العلويّين منها الى [بلخ][2] وصارت ترمذ دار اسلام وهى من امنع الحصون واقواها ، وفيها توفّى صدر الدين السجزىّ[3] شيخ خانكاه السلطان بهراة ، وفيها فى صفر توفّى ابو علىّ الحسن بن محمّد بن عبدوس الشاعر الواسطىّ وهو من الشعرآء المجيدين واجتمعتُ به بالموصل وَرَدَها مادحًا لصاحبها نور الدين ارسلان شاه وغيره من المقدّمين وكان نعم الرجل حسن الصحبة والعشرة ، وفيها اجتمع ببغداد رجلان اعميان على رجل اعمى ايضًا وقتلاه بمسجد طمعا ان ياخذا منه شيأً فلم يجدا معه ما ياخذانه وادركهما الصباح فهربا من الخوف بيدان الموصل ورُبى الرجل مقتولًا ولم يُعلم قاتِله فاتّفق انّ بعض اصحاب الشحنة اجتاز من الحريم فى خصومة جرت فراى الرجلَيْن الضريرَيْن فقال لمن معه هولآء الذين قتلوا الاعمى يقوله مزحًا فقال احدهما هذا والله قتله فقال

---

[1]) وفيه [2]) C. P. [3]) السجزى

الاخر بل انت قتلتَه فأُخذا الى صاحب الباب فاقرّا فقُتل احدهما وصُلب الاخر على باب المسجد الذى قتلا فيه الرجل ☆

سنة ٦٠٣ ثم دخلت سنة اثنتين وستّمائة ،

ذكر الفتنة بهراة

فى هذه السنة فى المحرّم ثار العامّة بهراة وجرت فيه فتنة عظيمة بين اهل السوقيّن الحدّادين والصفّارين قُتل فيها جماعة ونُهبت الاموال وخُرّبت الديار فخرج امير البلد ليكفّهم فضربه بعض العامّة بحجر ناله منه ألمٌ شديد واجتمع الغوغآء عليه فرُفع الى القصر الفيروزىّ واختفى ايّامًا الى ان سكنت الفتنة ثمّ ظهر ☆

ذكر قتال شهاب الدين الغورىّ بنى كوكر

قد ذكرنا انهزام شهاب الدين محمّد بن سام[1] الغورىّ صاحب غزنة من الخطا الكفّار وانّ الخبر ظهر ببلاده انّه عُدم من المعركة لم يقف اصحابه له على خبر فلمّا اشتهر هذا الخبر ثار المفسدون فى اطراف البلاد وكان ممّن افسد دانيال صاحب جبل الجودى فانّه كان قد اسلم فلمّا بلغه الخبر ارتدّ عن الاسلام وتابع بنى كوكر ومساكنهم فى جبال بين لهاوور والمولتان[2] حصينة منيعة وكانوا قد اطاعوا شهاب الدين وحملوا له الخراج فلمّا بلغهم خبر عدمه ثاروا فيمن معهم من قبايلهم وعشايرهم واطاعهم صاحب جبل الجودى وغيره من القاطنين بتلك الجبال ومنعوا الطريق من لهاوور وغيرها الى غزنة فلمّا فرغ شهاب الدين من قتل مملوكه ايبك بال وقد ذكرناه ارسل الى نايبه بلهاوور والمولتان وهو محمّد بن ابى علىّ يامره بحمل المال لسنة ستّمائة وسنة احدى وستّمائة ليتجهّز به لحرب الخطا فاجاب انّ اولاد كوكر قد قطعوا الطريق ولا يمكنه ارسال المال وحضر جماعة من التجار وذكروا انّ قفلًا كبيرًا اخذه اولاد كوكر ولم ينج منه الّا القليل فامر شهاب الدين مملوكه ايبك مقدّم عساكر الهند ان يُراسل بنى كوكر يدعوهم الى الطاعة ويتهدّدهم ان لم يجيبوا ففعل ذلك فقال ابن كوكر لاىّ معنى لم يرسل السلطان

---

(1) سامة (2) والمولتان

الينا رسولاً فقال له الرسول وما قدركم انتم حتّى يرسل اليكم وانّما مملوكه يبصّركم رشدكم ويهدّدكم فقال ابن كوكر لو كان شهاب الدين حيًّا لراسلنا وقد كنّا ندفع الاموال اليه فحيث عُدم فقل لايبك يترك لنا لهاوور وما والاها وفرشابور ونحن نصالحه فقال الرسول نفّذ انت جاسوسًا تثق اليه ياتيك بخبر شهاب الدين من فرشابور[1] فلم يصْغ الى قوله فردّه فعاد واخبر بما سمع ورأى فامر شهاب الدين مملوكه قطب الدين ايبك بالعود الى بلاده وجمْع العساكر وقتال بنى كوكر فعاد الى دهلى وامر عساكره بالاستعداد فاقام شهاب الدين فى فرشابور الى نصف شعبان من سنة احدى وستّمائة ثم عاد الى غزنة فوصلها اوّل رمضان وامر بالندآء فى العساكر بالتجهّز لقتال الخطا وانّ المسير يكون اوّل شوّال فتجهّزوا لذلك فاتّفق انّ الشكايات[2] كثرت من بنى كوكر وما يعتهدونه من اخافة السبل[3] وانّهم قد انفذوا شحنة الى البلاد ووافقهم اكثر الهنود وخرجوا من طاعة امير لهاوور والمولتان وغيرها ووصل كتاب الوالى يذكر ما قد دهمه منهم وانّ عُمّاله قد اخرجهم بنو كوكر وجبوا الخراج وانّ ابن كوكر مقدّمهم ارسل اليه ليترك له لهاوور والبلاد والّا قتله ويقول ان لم يحضر السلطان شهاب الدين بنفسه ومعه العساكر والّا خرجت البلاد من يده وتحدّث الناس بكثرة مَن معهم من الجموع وما لهم من القوّة فتغيّر عزم شهاب الدين حينيئذ عن غزو الخطا واخرج خيامه وسار عن غزنة خامس ربيع الاوّل سنة اثنتين وستّمائة فلمّا سار وابعد انقطعت اخباره عن الناس بغزنة وفرشابور حتّى ارجف الناس بانهزامه وكان شهاب الدين لمّا سار عن فرشابور اتاه خبر ابن كوكر انّه نازل فى عساكره ما بين حبلم وسودرة فجدّ السير اليه فدهمه قبل الوقت الذى كان يقدّر وصوله فيه فاقتتلوا قتالاً شديدًا يوم الخميس لخمس بقين من ربيع الاخر من بكرة الى العصر واشتدّ القتال فبينما هم فى القتال واذ قد اقبل قطب الدين ايبك فى عساكره فنادوا بشعار الاسلام وحملوا حملة صادقة فانهزم الكوكريّة ومن انضمّ اليهم وقُتلوا بكلّ

[1]) C. P. Ups.: فراشابور [2]) C. P. Ups.: السلعمان [3]) C. P. Ups.: السبيل

مكان وقصدوا أُجْمَةً هناك فاحتموا بها واضرموا نارًا فكان احدهم يقول لصاحبه لا تترك المسلمين يقتلونك ثمّ يلقى نفسه فى النار فيلقى صاحبه نفسه بعده فيها فعمّهم الفنآء قتلًا وحرقًا فبُعْدًا لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ[1] وكان اهلهم واموالهم معهم لم يفارقوها فغنم المسلمون منهم ما لم يُسمع بمثله حتّى انّ المماليك كانوا يُباعون كلّ خمسة بدينار ركنى ونحوه وهرب ابن كوكر بعد ان قتل اخوته واهله واما ابن دانيال[2] صاحب جبل الجودى فانّه جآء ليلًا الى قطب الدين ايبك فاستجار به فاجاره وشفع فيه الى شهاب الدين فشفّعه فيه واخذ منه قلعة الجودى فلمّا فرغ منهم سار نحو لهاوور ليامن اهلها ويسكن روعهم وامر الناس بالرجوع الى بلادهم والتجهيز لحرب الخطا واقام شهاب الدين بلهاوور الى سادس عشر رجب وعاد نحو غزنة وارسل الى بهآء الدين سام صاحب باميان ليتجهّز للمسير الى سمرقند ويعمل جسرًا ليعبر هو وعساكره عليه ۞

ذكر الظفر بالتيراهيّة

كان من جملة الخارجين المفسدين ايضًا على شهاب الدين التيراهيّة فانّهم خرجوا الى حدود سوران ومكرهان للغارة على المسلمين فاوقع بهم نايب تاج الدين الدز[3] مملوك شهاب الدين بتلك الناحية ويعرف بالخايجي وقتل منهم خلقًا كثيرًا وحمل رؤس المعروفين فعُلّقت ببلاد الاسلام وكانت فتنة هولآء التيراهيّة على بلاد الاسلام عظيمةً قديمًا وحديثًا وكان اذا وقع بايديهم اسير من المسلمين عذّبوه بانواع العذاب وكان اهل فرشابور معهم فى ضرّ شديد لانّهم[4] يحيطون بتلك الولاية من جوانبها لا سيّما اخر ايّام سبكتكين فانّ الملوك ضعفوا وقوى هولآء عليهم وكانوا يغيرون على اطراف البلاد وكانوا كفّارًا لا دين لهم يرجعون اليه ولا مذهب يعتمدون عليه الّا انّهم كانوا اذا وُلد لاحدهم بنت وقف على باب داره ونادى من يتزوّج هذه مَن يقبلها فان اجابه احد تركها والّا قتلها ويكون للمراة عدّة ازواج فاذا كان احدهم عندها جعل مداسه على الباب فاذا جآء غيره من ازواجها ورأى مداسه عاد ولم يزالوا كذلك حتّى اسلم طآيفة منهم

---

1) Cor. 11, 46. 2) دانيال 3) الدكز 4) لا

اخر ايّام شهاب الدين الغوريّ فكفّوا عن البلاد وسبب اسلامهم انّهم اسروا انسانًا من فرشابور فعذّبوه فلم يَمُتْ ودامت ايّامه عندهم فاحضره يومًا مقدّمهم وساله عن بلاد الاسلام وقال له لو حضرتُ انا عند شهاب الدين ما ذا كان يُعطيني فقال له المعلّم كان يُعطيك الاموال والاقطاع ويردّ اليك حكم جميع البلاد التي لكم فارسله الى شهاب الدين في الدخول في الاسلام فعاد ومعه رسول بالخلع والمنشور بالاقطاع فلمّا وصل اليه الرسول سار هو وجماعة من اهله الى شهاب الدين فاسلموا وعادوا وكان للناس بهم راحة فلمّا كانت هذه الفتنة واختلفت البلاد نزل اكثرهم من الجبال فلم يكن لهذه الطايفة بهم قدرة ليمنعوهم فافسدوا واعملوا ما ذكرناه ☆

ذكر قتل شهاب الدين الغوريّ

في هذه السنة اوّل ليلة من شعبان قُتل شهاب الدين ابو المظفّر محمّد بن سام الغوريّ ملك غزنة وبعض خراسان بعد عوده من لهاوور بمنزل يقال له دميك[1] وقت صلاة العشآء وكان سبب قتله انّ نفرًا من الكفّار الكوكريّة لزموا عسكره عازمين على قتله لما فعل بهم من القتل والاسر والسبى فلمّا كان هذه الليلة تفرّق عنه اصحابه وكان قد عاد ومعه من الاموال ما لا يُحدّ فانّه كان عازمًا على قصد الخطا والاستكثار من العساكر وتفريق المال فيهم وقد امر عساكره بالهند باللحاق به وامر عساكره الخراسانيّة بالتجهّز الى ان يصل اليهم فاتاه الله من حيث لم يحتسب ولم يُغن عنه ما جمع من مال وسلاح ورجال لكن كان على نيّة صالحة من قتال الكفّار ، فلمّا تفرّق عنه اصحابه وبقى وحده في خركاة فثار اوليك النفر فقتل احدهم بعض الحرس بباب سرادق شهاب الدين فلمّا قتلوه صاح فثار اصحابه من حول السرادق لينظروا ما بصاحبهم فاخلوا مواقفهم وكثُر الزحام فاغتنم الكوكريّة غفلتهم عن الحفظ فدخلوا على شهاب الدين وهو في الخركاة فضربوه بالسكاكين اثنتين وعشرين ضربة فقتلوه فدخل عليه اصحابه فوجدوه على مصلّاه قتيلًا وهو ساجد فاخذوا اوليك الكفّار فقتلوهم وكان فيهم اثنان مختونان وقيل انّما قتله الاسماعيليّة

---

[1] دميل (

لانّهم خافوا خروجه الى خراسان وكان له عسكر يحاصر بعض قلاعهم على ما ذكرناه ، فلمّا قُتل اجتمع الامرآء عند وزيره مؤيّد الملك[1] بن خواجا ساجستان فتحالفوا على حفظ الخزانة والملك ولزوم السكينة الى ان يظهر مَن يتولّاه واجلسوا شهاب الدين وخيّطوا جراحه وجعلوه فى الحفّة وساروا به ورتّب الوزير الامور وسكّن الناس بحيث لم تُرَق محاجمة دم ولم يوجد فى احد شئ وكانت الحفّة محفوفة بالحشم والوزير والعسكر والشمسة على حاله فى حياته وتقدّم الوزير الى امير دار العسكر باقامة السياسة وضبط العسكر وكانت الخزانة التى فى صحبته القىّ حمل ومائتىْ حمل وشغّب الغلمان الاتراك الصغار لينهبوا المال فمنعهم الوزير والامرآء الكبار من المماليك وهو صونج[2] صهر الدز وغيره وامروا كلّ مَن له اقطاعٌ عند قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين ببلاد الهند بالعود اليه وفرّقوا فيهم اموالًا كثيرة فعادوا وسار الوزير ومعه مَن له اقطاعٌ واهلٌ بغزنة وعلموا انّه يكون بين غياث الدين محمود بن غياث الدين اخى شهاب الدين الاكبر وبين بهآء الدين صاحب باميان وهو ابن اخت شهاب الدين حروب شديدة وكان ميل الوزير والاتراك وغيرهم الى غياث الدين محمود وكان الامرآء الغوريّة يميلون الى بهآء الدين سام صاحب باميان فارسل كلّ طايفة الى من يميلون اليه يعرّفونه قتل شهاب الدين وجليّة الامور وجآء بعض المفسدين من اهل غزنة فقال للمماليك انّ فخر الدين الرازىّ قتل مولاكم لانّه هو اوّصل من قتله فوضع من خوارزم شاه فثاروا به ليقتلوه فهرب وقصد مؤيّد الملك الوزير فاعلمه الحال فسيّره سرًّا الى مامنه ولمّا وصل العسكر والوزير الى فرشابور اختلفوا فالغوريّة يقولون نسير الى غزنة على طريق مكرهان وكان غرضهم ان يقربوا من باميان ليخرج صاحبها بهآء الدين سام فيملك الخزانة قال الاتراك بل نسير على طريق سوران وكان مقصودهم ان يكونوا قريبًا من تاج الدين الدز مملوك شهاب الدين وهو صاحب كرمان مدينة بين غزنة ولهاوور وليست بكرمان التى تجاور بلاد فارس ليحفظ الدز الخزانة ويرسلون من كرمان الى غياث الدين

(1 الدين

(2 صونج